المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.

قال الشيخ الفقيه الإمامُ العالمُ العاملُ العلامـةُ المحدّثُ أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسيّ ثم القرطبي، رضي الله عنه:

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يَحْمَده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الربُّ الصّمَد الواحد، الحيّ القيوم الذي لا يموت؛ ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام؛ والمتكلمُ بالقرآن، والخالقُ للإنسان، والمنعمُ عليه بالإيمان، والمرسلُ رسولَه بالبيان، محمداً ﷺ ما اختلف المَلَوان[1]، وتعاقب الجديدان[2]؛ أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين؛ الذي أعجزت الفصحاءَ معارضتُه، وأعيَت[3] الألبّاءَ مناقضتُه، وأخرست البلغاءَ مشاكلتُه[4]؛ فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظَهيراً. جعل أمثاله عِبَراً لمن تدبّرها، وأوامره هُدًى لمن استبصرها؛ وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرّق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقصّ فيه غيب الأخبار؛ فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] خاطب به أولياءه ففهموا، وبيّن لهم فيه مراده فعلموا. فَقَرَأَةُ القرآن حَمَلَةُ سرّ الله المكنون، وحَفَظَةُ علمه المخزون، وخلفاءُ أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصّته وخيرته وأصفياؤه؛ قال رسول الله ﷺ: «إن للّه أهلين منّا» قالوا: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: «هم أهلُ القرآن أهلُ الله وخاصّته» أخرجه ابن ماجه في سننه، وأبو بكر البزّار في مُسنده[5]. فما أحَقَّ مَن علَم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويتذكّر ما شُرِح له فيه، ويخشى الله ويتّقيه، ويراقبه ويستحييه. فإنه قد حُمِّل أعباء الرسل، وصار شهيداً في القيامة على من خالف من أهل الملل؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] ألا وإنّ الحجة على من علمه فأغفله، أوكد منها على من قصر عنه وجَهِله. ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحاً، ومن الجرائم فضوحاً؛ كان القرآن حجةً عليه، وخَصْماً لديه، قال رسول الله ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»[6] خرّجه مسلم. فالواجب على مَن خَصّه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبّر

---

(١) الملوان: اللّيل والنهار، وقيل: طرفا النهار والأول هو المقصود هنا. لسان العرب «ملا» لابن منظور.

(٢) الجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يبليان أبدًا. النهاية في غريب الحديث (٣/ ١١١) لابن الأثير.

(٣) أعيت: يقال: عيَّ بالأمر عيًا، وعيي، وتعايا واستعيا وهو عيّ، وعييّ، وعيّان: عجز عنه ولم يطق حكمه. اللسان «عيا».

(٤) مشاكلته: شكَل بالفتح: الشبه والمثل، وتشاكل الشيئان: شابه أحدهما الآخر. اللسان «شكل».

(٥) صحيح: ابن ماجه (٢١٥) في المقدمة، وأحمد (٣/ ١٢٧، ١٢٨)، في المسند، وصححه في مصباح الزجاجة (١/ ٢٩) كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني (٢/ ٢١٠) في التعليق الرغيب، وفي الضعيفة تحت الحديث رقم (١٥٨٢).

(٦) صحيح: قطعة من حديث رواه مسلم (٢٢٣/ ١) في الطهارة، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

حقائق عبارته؛ ويتفهّم عجـائبه، ويتبيّن غرائبه؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]. وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] . جعلنا الله ممن يرعاه حق رعـايته، ويتـدبّره حق تدبّره؛ ويقوم بقـسطه[١]، ويوفي بشرطه، ولا يلتـمس الهُدَى في غيره؛ وهدانا لأعلامه الظاهرة، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فإنه أهل التقوى وأهـل المغفرة[٢]. ثم جعل إلى رسـوله ﷺ بيان ما كـان منه مجملاً، وتـفسير مـا كان منه مُشْكلاً،[٣] وتحقيقَ مـا كان منه محتمـلاً؛ ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختـصاص به، ومنزلة التفويض إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] . ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنباط ما نبّه على معانيه، وأشار إلى أصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد؛ فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختـصوا بثواب اجتهادهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] . فصار الكتاب أصلاً والسنة له بياناً[٤]، واستنباط العلماء له إيضـاحاً وتبيانـاً. فالحمد لله الذي جـعل صدورنا أوْعِيَـةَ كتابه، وآذاننا مواردَ سنن نبـيّه؛ وهمَمنا مصـروفةً إلى تعلّمهما والبـحث عن معانيهـما وغرائبهما؛ طـالبين بذلك رِضَا رب العالمين، ومتدرّجين به إلى علم المِلّة والدِّين.

وبعد:

فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسُّنّة والفَرْض، ونزل به أمين

---

(١) قسطه :القسط : الحصة والنصيب . يقال : أخذ كل واحد من الشركـاء حصته ، وكل مقدار فهو قسط . اللسان «قسط».

(٢) عدّ القرطبي في « الأسني في شـرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٦٣) » هذا اسمًا من أسمـاء الله تعالى استنادًا إلى وروده في الآية (٥٦) من سورة المدثر .

(٣) سيأتي تفصيل ذلك عند الآية (٧) من سورة آل عمران .

(٤) وللسنة مع القرآن مراتب :

أ ـ فقد توافقه فيكون هذا من باب تضافر الأدلة على موضوع واحد : كحرمة الزِّنا ووجوب الصلاة .

ب ـ وتفصل مجمله كتقييد عدد الصلوات .

جـ ـ وتُقيد مطلقه كقوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [المائدة:٣٨] ، فقيدت السُّنة السرقة بنصاب الزكاة ، وجعلت القطع في الرسغ اليمني .

د ـ وتخصص عامه ، كقوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٤] ،فحرمت الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها .

هـ ـ وتوضح مشكله ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]، فبيّن الحديث : أن الشرك هو الظلم العظيم .

و ـ وتبسط مختصره، كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ [التوبة:١١٨] ، فقد جاءت القصة كاملة كما في حديث كعب بن مالك .

ز ـ وقد تأتي السنة بحكم جديد كتغريب الزاني غير المحصن . إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٩) لابن قيم الجوزية وما بعدها ، وانظر (رسالة منزلة السنة في الإسـلام ، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن) للعلامـة الألباني ـ رحمه الله ـ ضمن محاضرة طبعت كمقدمة لمفتاح الجنة للسيوطي ـ رحمه الله .

السماء إلى أمين الأرض[١]، رأيتُ أن أشتغل به مَـدَى عمري، وأستفـرِغ فيه مُنَّتِي[٢] بأن أكتب فيه تعليقاً وجيـزاً، يتضمّن نُكَتاً[٣] من التفسيـر واللغات، والإعراب والقراءات؛ والردّ على أهل الزَّيغ والضلالات، وأحاديثَ كثيرةً شاهدةً لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات؛ جامعاً بين معانيهما، ومُبيِّناً ما أشكل منهـما؛ بأقاويـل السلف، ومَن تبعهم من الخَلَف. وعَـملتُه تذكـرةً لنفسي، وذخيـرةً ليوم رَمْسِي[٤]، وعملاً صالحاً بعد موتي. قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الإنفطار: ٥]. وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٥].

وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليهـا، والأحاديث إلى مصنِّفيها؛ فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلـى قائله. وكثيراً ما يجيء الحديث في كـتب الفقه والتفسير مُـبْهَماً، لا يَعرف مَن أخـرجه إلا من اطّلع على كتب الحـديث، فيبـقى مَن لا خبرة له بذلك حـائراً، لا يعرف الصحيح من الـسقيم، ومعرفـة ذلك علم جسيم، فلا يقـبل منه الاحتجاج به، ولا الاسـتدلال حتى يضيفه إلى مَن خرّجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نُشير إلى جُمَل من ذلك في هذا الكتـاب، والله الموفق للصواب، وأضرب عن كـثير من قَـصَص المفسرين، وأخـبار المؤرّخين، إلا ما لا بُدّ منه ولا غِنًى عنه للتبيين واعْتضت[٦] من ذلك تبيين آي الأحكام، بمسائلَ تُسْفِر عن معناها، وتُرشِد الطالب إلى مقتضاها؛ فضمّنت كل آية تتضمن حُكماً أو حكمين فما زاد، مسائلَ نبيّن فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتـفسير الغريب والحكم؛ فإن لم تتضمن حُكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب[٧].

وسميته بـ **«الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان»**.

جعلـه الله خالصاً لـوجهه، وأن ينفـعني به ووالديّ ومن أراده بمنّه؛ إنه سـميع الدعـاء، قريب مجيب؛ آمين.

---

(١) أمّا أمين السـماء فهو جبريل عليه السـلام لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وأمين الأرض هو النبي ﷺ لقوله: «أمين في الأرض أمين في السماء».

(٢) منتي: قوتي. مختار الصحاح (ص٦٣٦).

(٣) نكتا: النكتة: الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، أو هي المسألة العلمية الدقيقة يُتوصل إليها بدقة وإحكام فكر. الوجيز (ص ٦٣٣).

(٤) رمْسي: الـرَّمس: هو تراب القبـر، وقيل: القـبر نفسـه، وأصل الرمس: السـتر والتغـطية. لسـان العرب «رمس».

(٥) صحيح: مسلم (١٦٣١/ ١٤) في الوصية، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) اعتضت: من العوض وهو البدل. اللسان «عضد».

(٧) وقد سار ـ رحمه الله ـ على هذا الشرط، فلن يخالفه حتى نهاية الكتاب.

باب ذكر جُمَل من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به

اعلم أن هذا الباب واسع كبير، ألّف فيه العلماء كتباً كثيرة، نذكر من ذلك نُكَتاً تدلّ على فضله، وما أعدّ الله لأهله، إذا أخلصوا الطلب لوجهه، وعملوا به. فأوّل ذلك: أن يستشعِر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق(١)، كلامُ مَن ليس كمثله شيء، وصفةُ من ليس له شبيه ولا نِدّ، فهو من نور ذاته جلّ وعزّ؛ وأن القراءة أصوات القُرّاء ونغماتهم، وهي أكسابهم التي يؤمرون بها في حالٍ إيجاباً في بعض العبادات، وندباً في كثير من الأوقات؛ ويُزْجَرون عنها إذا أجنُبوا، ويثابون عليها ويعاقبون على تركها. وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهل الحق، ونطقت به الآثار، ودلّ عليها المستفيض من الأخبار(٢)؛ ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من أكساب(٣) العباد، على ما يأتي بيانه. ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوّة على حمله ما جعله؛ ليتدبروه وليعتبروا به، وليتذكّروا ما فيه من طاعته وعبادته، وأداء حقوقه وفرائضه، لضعفت ولاندكّت(٤) بثقله، أو لتضعضعت(٥) له وأنّى تطيقه؛ وهو يقول تعالى جَدّه وقوله الحق: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. فأين قوّة القلوب من قوّة الجبال!

---

(١) دعوى (خلق القرآن) بدعة ابتدعها الجهم بن صفوان الملحد الزنديق فى أواخر عصر التابعين، وقد تلقاها الجعد بن درهم الذي تلقاها بدوره عن بيان بن سمعان، والذي أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد وهو الذي سحر النبي ﷺ، ولا زال المبتدعة يتلقونها حتى وصلت إلى شيخ المعتزلة: (بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسي) وهو أحد الذين أضلّوا الخليفة المأمون، وتوفى أن مات بشر - قبحه الله - (٢١٩هـ)، ثم تقلد القضاء ورياسة المذهب المخذول أحمد بن أبي دؤاد - قبحه الله - فحرض المأمون على القول بخلق القرآن، وحشه على التنكيل بأهل السنة وأهل الحديث، فأصابهم ما أصابهم من الحبس والضرب والقتل، وأشهر من نالهم من التعذيب وغير ذلك: إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل - رحمه الله.

وقد ابتلى ابن أبى دؤاد بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين للهجرة.

وفي «معارج القبول» للشيخ حافظ بن أحمد حكمي - رحمه الله - ص١٧٣ قال: «أمّا القرآن ففي عقيدة أهل السنة هو: كلام الله تبارك وتعالى لفظًا ومعنىً، وهو المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر نقل الجمع عن الجمع بما تحيل العادة تواطؤهم على الكذب» انتهى.

(٢) المستفيض من الأخبار أو الأحاديث هو: الحديث المشهور، ولكن الجماعة التي اشتهرت بروايته كانت في البداية والنهاية سواءً، أي: تساوى عدد الراوين في كل طبقات الرواية ابتداءً من الشيخ الذي كان متفردًا، وإلى نهاية السلسلة التي تنقل الحديث «علوم الحديث ص ٢٣٠ للطبراني».

(٣) قصد هنا عقيدة أهل السنة بوجود مشيئة للعبد تالية لمشيئة الله تعالى لقوله سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩].

(٤) اندك: اندك المكان: ودك التراب يدكه دكًا: كبسه وسواه، ودك الأرض دكًا: سوى صعودها وهبوطها. اللسان «دكك».

(٥) تضعضعت: الضعضعة: الخضوع والتذلل، وقد ضعضعه الأمر فتضعضع ... ورجل ضعضاع: لا رأي له ولا حزم، وتضعضع الرجل: ضعف وخف جسمه من مرض وحزن، وضعضعه، أي: هدمه حتى الأرض. اللسان «ضعع».

ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم؛ فضلاً منه ورحمة.

وأما ما جاء من الآثار في هذا الباب:

فأول ذلك ما خرّجه الترمذيّ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الربّ تبارك وتعالى مَن شغله القرآنُ وذكْري عن مسألتي؛ أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين قال: وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». قال: هذا حديث حسن غريب(١). وروى أبو محمد الدّارميّ السَّمَرْقَنْديّ في مسنده عن عبد الله قال: السبع الطُّوَل(٢) مثل التوراة، والمئون(٣) مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزَّبور، وسائر القرآن بعدُ فضلٌ(٤). وأسند عن الحارث(٥) عن عليّ رضي الله عنه وخرّجه الترمذي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتَنٌ كقطع اللّيل المظلم». قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: «كتابُ الله تبارك وتعالى، فيه نَبَأ من قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفَصْل ليس بالهَزْل من تركه مِن جبّار قصمه الله ومَن ابتغى الهُدَى في غيره أضلّه الله هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تَزِيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعّب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَملّه الأتقياء ولا يَخلق(٦) على كثرة الردّ ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته أن قالوا:

---

(١) حسن غريب: الترمذي (٢٩٢٦) في فضائل القرآن، وضعفه الألباني (١٣٣٥) في الضعيفة.

(٢) قال السيوطي ـ رحمه الله (١/ ١٨١، ١٨٢) في الإتقان: السبع الطُّول: «أولها البقرة وآخرها براءة، كذا قال جماعة؛ لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال: السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف قال الراوي: وذكر السابع قد نسيتها، وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها يونس».

قلت: كذا في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٢)، وتقدم عن ابن عباس مثله في النوع الأول. وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف.

(٣) والمئون: ما وليها، سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما ولي المئين؛ لأنها ثنتها، أي: كانت بعدها، فهي لها ثوان، والمئون لها أوائل.

وقال الفراء: هي السورة التي آياتها أقل من مائة، لأنها تثنّى أكثر مما يثنّى الطُّول.

وقال في «جمال القراء»: هي السورة التي ثنيت فيها القصص. وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة.

والمفصل: ما ولي المثاني من قصار السُّور، سُمي بذلك؛ لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضًا.

قلت: رواه البخاري (٣٤/٥) في فضائل القرآن: عن سعيد بن جبير قال: «إنّ الذي تدعونه المفصَّل هو المحكم، وآخره سورة الناس بلا نزاع» انتهى.

(٤) فيه انقطاع: الدارمي (٢/ ٤٥٣) في فضائل القرآن، وفيه المسيب بن رافع عن ابن مسعود ولم يسمع منه.

(٥) هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمذاني، تابعي، قال ابن المديني: كذّاب. وروى مغيرة عن الشعبي قال: حدثني الحارث الأعور، وكان كذابًا. وقال أبو بكر بن عياش عن مغيرة: ولم يكن الحارث يصدق عن علي في الحديث. ميزان الاعتدال (٢/ ١٧٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٢٦). وقلت: وضعفه النسائي والدارقطني.

(٦) يخلق: يبلى. اللسان «خلق».

إنّا سمعنا قـرآناً عجباً ، مَن علِم علمـه سَبَق ،ومن قال به صدق ومَن حكم بـه عدل، ومَن عمل به أُجر، ومن دعا إليـه هدي إلى صراط مستقـيم » ،خذها إليك يا أعْوَر[١] . «الحارث» رماه الشـعبيّ بالكذب وليس بشيء، ولم يَبِنْ من الحارث كـذب، وإنما نُقم عليه إفراطه في حب عليّ وتفـضيله له على غيره. ومن ها هنا والله أعلم كذّبه الشعـبيّ؛ لأن الشعبيّ يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أوّل من أسلم. قال أبو عمر بن عبد البر: وأظنّ الشعـبيّ عوقب لقوله في الحارث الهَمَدانيّ: حدّثني الحارث وكان أحد الكذّابين.

وأسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري [٢] النحويّ اللغويّ في كتاب «الردّ على من خالف مصحف عـثمان» عن عبد اللّه بن مسعود قـال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن مأدَبة الله فتعلموا من مأدبته ما اسـتطعتم، إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين ، والشفاء النافع، عصمةُ مَن تمسك به ، ونجاةُ مَن اتبـعه ، لا يعوجّ فيقوّم، ولا يزيغ فيستعـتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق عن كثرة الردّ، فـاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشـر حسنات، أما إني لا أقول: الم حَرْفٌ ولا أُلْفَيَنّ أحدكم واضعاً إحدى رجليـه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفرّ من البيت الذي تقرأ فـيه سورة البقرة وإن أصْفَر البـيوت من الخير البيتُ الصّفـر من كتاب الله»[٣].

وقال أبو عبـيد في غريبه عن عبد اللّه قـال: إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فـهو آمن. قال: وتأويل الحديث : أنه مَثَلٌ، شبّه القرآن بصنيع صنعـه الله عز وجل للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقـال: مأدُبة» ومأدَبة فمن قال: مـأدُبة؛ أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيـدعو إليه الناس. ومن قال: مأدَبة؛ فـإنه يذهب به إلى الأدب، يجعله مَفْعَلة من الأدب، ويحتج بحـديثه الآخر: «إن هذا القرآن مأدَبة الله عزّ وجلّ فتعلّموا من مأدبته»[٤]. وكان الأحمر يجعلهما لغتين بمعنًى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره. قال: والتفسير الأوّل أعجب إليّ.

وروى البخاري عن عثـمان بن عفّان عن النبيّ ﷺ قال: «خيـركم من تعلّم القرآن وعَلّمه»[٥].

وروى مسلم عن أبي موسى قـال : قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القـرآن مثل الأتْرُجّة رِيحها طيّب وطعـمها طيّب، ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القـرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعـمها حلو ومَثَلُ المنافق الذي يـقرأ القرآن مـثل الريحانة ريحهـا طيب وطعمهـا مُرّ ، ومَثَـلُ المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمـثل الحَنْظَلة لا ريح لها وطعمـها مُرّ»[٦]. وفي رواية: «مثل الفاجـر» بدل «المنافق». وقال

---

(١) ضعيف : الترمذي (٢٩٠٦) في فضائل القرآن ، وقال : « حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال » ، وضعفه الألباني (٢١٣٨) في المشكاة .

(٢) هو أبو بكر الأنباري مـحمد بن القاسم النحـوي كان صدوقًا فـاضلاً (ت ٣٢٨هـ)، وله كتاب غـريب الحديث ، والوقف والابتداء .

(٣) ضعيف : الحاكم (١/ ٥٥٥) في المستدرك ، وصححه الدارمي (٢/ ٤٣١) في سننه عن ابن مسعـود ، وضعفه الألباني رحمه الله (٢٠٢٤) في ضعيف الجامع .

(٤) ضعيف مرفوع صحيح موقوف : انظر: ضعيف الجامع (٢٠٢٤) ، والصحيحة (٢/ ٢٦٤) للألباني .

(٥) صحيح : البخاري (٥٠٢٧) في فضائل القرآن ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٦) صحيح : مسلم (٧٩٧/ ٢٤٣) في صلاة المسافرين وقصرها .

البخاريّ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيّب وريحها طيّب، ومثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة. . .» وذكر الحديث[١].

وذكر أبو بكر الأنباري: وقد أخبرنا أحمد بن يحيى الحلوانيّ، حدّثنا يحيى بن عبد الحميد، حدّثنا هشيم، ح[٢]، وأنبأنا إدريس، حدّثنا خلف حدّثنا هُشيم عن العوّام بن حَوْشب: أن أبا عبد الرحمن السُّلَميّ كان إذا ختم عليه الخاتمُ القرآنَ أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا، اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عَملتَ بالذي عَلِمت[٣]. وروى الدارميّ عن وهب الذماريّ قال: من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار، وعمل بما فيه ومات على الطاعة، بعثه الله يوم القيامة مع السَّفَرة والأحكام[٤]. قال سعيد: السَّفَرة الملائكة، والأحكامُ الأنبياء.

وروى مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البَرَرَة، والذي يقرأ القرآن ويَتَتَعْتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»[٥]. التتعتع: التردّد في الكلام عيًّا وصعوبة؛ وإنما كان له أجران من حيث التلاوة، ومن حيث المشقة؛ ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه، ثم ترقّى عن ذلك إلى أن شبّه بالملائكة. والله أعلم. وروى الترمذيّ عن عبد اللّه ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». قال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رُوِيَ موقوفاً[٦]. وروى مسلم عن عُقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفّة؛ فقال: «أيكم يُحبّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحانَ[٧] أو إلى العَقيق[٨] فيأتيَ منه بناقتين كَوْمَاوَيْن[٩] في غير إثم ولا قطع رَحم» فقلنا: يا رسول الله، كلنا نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خيرٌ له من ناقتين وثلاثٌ خير له من ثلاث، وأربعٌ خير له من أربع، ومن أعدادهنّ من الإبل»[١٠].

---

(١) صحيح: البخاري (٥٠٢٠) في فضائل القرآن.

(٢) هذا الرمز عند المحدثين: رمز لتحويل الإسناد إذا كان للحديث أكثر من إسناد وهي مأخوذة من: حال بين الشيئين «شرح النووي (١/ ٣٨) على صحيح مسلم».

(٣) فيه يحيى بن عبد الحميد إن كان الحمال فهو ضعيف، وإن كان ابن عبد الرحمن بن ميمون بشهيد فهو ضعيف أيضًا فالأثر: ضعيف، والعوام بن حوشب مختلف فيه.

(٤) رواه الدارمي (٢/ ٤٤٤) في سننه.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٧) في التفسير بنحوه، ومسلم (٧٩٨/ ٢٤٤) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٦) صحيح مرفوع وموقوف: الترمذي (٢٩١٠) في فضائل القرآن، وصححه الألباني هناك ـ ط مكتبة المعارف ـ الرياض.

(٧) بُطْحان: بضم الباء وإسكان الطاء: موضع بقرب المدينة. «النووي (٣/ ٣١٥) على شرح مسلم».

(٨) العقيق: هو واد من أودية المدينة مسيل للماء، وعقيق آخر يدفق ماؤه في غورى تهامة، وهو الذي ذكره الشافعي في المناسك فقال: ولو أهلوا من العقيق أحبَّ إليّ. انتهى.

(٩) كوماوين: بفتح الكاف، قال النووي: «الكوما من الإبل: العظيمة السنام. انظر: النووي على شرح مسلم (٣/ ٣١٥)».

(١٠) صحيح: مسلم (٨٠٣/ ٢٥١) في صلاة المسافرين وقصرها.

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «مَن نَفَّس عن مسلم كُرْبَة من كُرَب الدنيا؛ نَفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامة ،ومَن يَسّر على مُعْسر، يَسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ؛ستره الله في الدنيا والآخرة ،والله في عَوْن العبد ما كان العبد في عَوْن أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه عِلْماً سَهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذَكَرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نَسَبه»(١).

وروى أبو داود والنّسائي والدارميّ والترمذي عن عقبة بن عامر قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمُسِرّ بالقرآن كالمُسِرّ بالصدقة». قال الترمذيّ: حديث حسن غريب(٢). وروى الترمذيّ عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رَبّ حَلِّه فيُلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة». قال: حديث صحيح(٣). وروى أبو داود عن عبد اللّه بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٤). وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبيّ سعيد الخُدْريّ قال قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»(٥).

وأسند أبو بكر الأنباري عن أبي أمامة الحمصي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطى ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوّة ، ومن أعطي ثلثي القرآن فقد أعطي ثلثي النبوّة، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوّة كلها غير أنه لا يوحَى إليه، ويقال له يوم القيامة: اقرأ وارق، فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز (٦)ما معه من القرآن ثم يقال له اقبض فيقبض ثم يقال له :أتدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعيم»(٧).

حدّثنا إدريس بن خلف ،حدّثنا إسماعيل بن عياش عن تمام عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ ثلث القرآن وعمل به، فقد أخذ أمر ثلث النبوّة، ومن أخذ نصف القرآن وعمل به،

---

(١) متفق عليه . البخاري (٢٤٤٢) في المظالم والغصب، ومسلم بلفظه (٢٦٩٩/ ٣٨) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح : أبو داود (١٣٣٣) في التطوع ، والترمذي (٢٩١٩) في فضائل القرآن ، والنسائي (٥/ ٨٠) في الزكاة، ولم أقف عليه في سنن الدارمي ، وصححه الألباني (٣١٠٥) في صحيح الجامع .

(٣، ٤) حسن : أبو داود (١٤٦٤) في الصلاة، والترمذي (٢٩١٥) في فضائل القرآن ، وصححه الألباني في الموضعين.

(٥) صحيح : ابن ماجه (٣٧٨٠) في الأدب ، وصححه الألباني هناك، و(٢٢٤٠) في الصحيحة ، و(٨١٢٢) في صحيح الجامع .

(٦) ينجز : يقضي .اللسان «نجز» .

(٧) موضوع : كذا قال الشوكاني (ص٣٠٦) في الفوائد المجموعة ، وأعله بـ (بشر بن نمير) وهو كذاب يضع كما قال

فقد أخذ أمر نصف النبوّة ومن أخذ القرآن كلّه فقد أخذ النبوّة كلها»[١]. قال: وحدّثنا محمد بن يحيى المَرْوَزيّ، أنبأنا محمد وهو ابن سعدان، حدّثنا الحسين بن محمد عن حفص عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضَمْرة عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتلاه وحفظه؛ أدخله الله الجنة وشفّعه[٢] في عشرة من أهل بيته كلٌّ قد وَجَبت له النار»[٣]. وقالت أم الدَّرْدَاء: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ما فَضْلُ مَن قرأ القرآن على مَن لم يقرأه ممن دخل الجنة؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: إن عدد آي القرآن على عدد دَرَج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضلَ ممن قرأ القرآن[٤]. ذكره أبو محمد مكيّ. وقال ابن عباس: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب؛ وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]. قال ابن عباس: فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ذكره مكيّ أيضاً. وقال الليث: يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى

يحيى بن سعيد.

(١) ضعيف جداً: الشوكاني (ص٣٠٦) في الفوائد المجموعة، وفيه إرسال الحسن وهو تابعي وثقة يدلس. وانظر: اللآلئ (١/ ١٢٦) للسيوطي.

(٢) قلت: الشفاعة: طلب الخير للغير بالتوسط له عند من لديه حاجة للمشفوع له. قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]. وقال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]. فأبطل الله تعالى طلب الشفاعة من الأموات والأولين والصالحين وغيرهم، فهي ملك لله تعالى لا يستطيع أحدٌ أن يشفع لأحد إلا بإذنه تعالى ورضاه.

والحكمة من الشفاعة: أنها إكرام الشافع وبيان منزلته عند الله، ونفع للمشفوع له. وللنبي ﷺ شفاعات منها:

أ ـ الشفاعة العظمى الخاصة به ﷺ من بين الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وهي لصرف الناس من أرض المحشر إلى الحساب والفصل بينهم وإراحتهم من هول الموقف حين تدنو الشمس من الرؤوس.

ب ـ شفاعته في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم لدخول الجنة.

جـ ـ شفاعته في قوم أمر بهم إلى النار لئلا يدخلوها.

د ـ شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

هـ ـ شفاعته في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب.

و ـ شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

ز ـ شفاعته في أهل الكبائر من أمته.

ح ـ وشفاعته ليؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.

والمؤمنين والملائكة، والنبيين شفاعات، كما أن لشهداء وحفظة القرآن كذلك شفاعات، لا تكون إلا بإذنه سبحانه.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية ـ بتخريج الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ (ص٢٢٩ ـ ٢٣٩)، ط دار المكتب الإسلامي.

(٣) ضعيف جداً: الترمذي (٥ ـ ٢٩٠) في فضائل القرآن، وقال: «له إسناد صحيح»، وضعفه الألباني هناك.

(٤) حسن موقوف: ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥) في المصنف، ورفعه البيهقي (١١٩٨) في الشعب، عن عائشة رضي الله عنها.

مستمع القرآن؛ لقول الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، و «لَعَلّ» من الله واجبة(١).

وفي مُسْنَد أبي داود الطَّيَالسيّ ـ وهو أوّل مُسْنَد أُلّفَ في الإسلام عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: «من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنْطِرِين»(٢). والآثار في معنى هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية.

باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك

روى البُخَارِيّ عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كان يَمُدّ مَدا إذا قرأ بِسم الله الرحمن الرحيم، يمدّ بسم الله، ويمدّ بالرحمن، ويمدّ بالرحيم(٣).

وروى الترمذيّ عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، وكان يقرؤها ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قال: حديث غريب. وأخرجه أبو داود بنحوه(٤).

ورُوِي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أحسن الناس صَوْتاً مَن إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى»(٥).

وروي عن زياد النُّمَيْرِيّ أنه جاء مع القرّاء إلى أنس بن مالك فقيل له: اقرأ. فرفع صوته وطَرّب، وكان رفيع الصوت، فكشف أنسٌ عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء فقال: يا هذا، ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخِرقة عن وجهه. وروي عن قيس بن عُبَاد أنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر. وممن روي عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المُسَيّب(٦)، وسعيد بن جُبير، والقاسم بن محمد، والحسن، وابن سِيرِين، والنَّخَعِيّ، وغيرهم، وكرهه مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل؛ كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتّطريب فيه(٧). روي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤمّ الناس فطرّب

(١) انظره عند الآية (٢٠٤) من سورة الأعراف.

(٢) صحيح: أبو داود (١٣٩٨) في الصلاة، وصححه الألباني (٦٤٣٩) في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٤٥، ٥٠٤٦) في فضائل القرآن.

(٤) غريب: أبو داود (٤٠٠١) في الحروف والقراءات، والترمذي (٢٩٢٧) في القراءات، وصححه الألباني (٣٤٣) في الإرواء.

(٥) صحيح: الطبراني (٣/ ١٠١) في الكبير، وصححه الألباني (١٥٨٣) في الصحيحة.

(٦) هو أبو محمد سعيد بن حزن بن أبي وهب عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الفقه والعبادة، والحديث والزهد والورع، وهو المشار إليه المنصوص عليه، كان أعلم الناس بحديث أبي هريرة، وبقضايا عمر، وقال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب، روى عن علي، وعثمان، وسعد، وأبي هريرة وغيرهم وتوفي (٩٣هـ) وقيل بعدها.

(٧) وهذا ما كرهه جمهور العلماء، كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٨٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والحوادث والبدع (٨٣ ـ ٨٩).

في قراءته؛ فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك اللـه إن الأئمة لا تقرأ هكذا. فترك عمر التّطريب بعدُ. وروي عن القاسم بن محمد: أن رجلاً قرأ في مسجد النبيّ ﷺ فطرّب؛ فأنكر ذلك القاسم وقال: يقول اللـه عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] الآية.

وروي عن مالك أنه سئل عن النَّبر [١] في قراءة القرآن في الصلاة؛ فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة، وأنكر رفع الصوت به. وروى ابن القاسم عنه أنه سئل عن الألحان في الصلاة فقال: لا يعجبني، وقال: إنما هو غناء يتغنّون به ليأخذوا عليه الدراهم. وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتّطريب به؛ وذلك لأنه إذا حَسّن الصوتَ به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب، واحتجّوا بقوله عليه السلام: «زيّنُوا القرآن بأصواتكم؛ رواه البَرَاء بن عازب. أخرجه أبو داود والنَّسائي[٢]. وبقوله عليه السلام: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن» أخرجه مسلم[٣]. وبقول أبي موسى للنبيّ ﷺ: لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبّرته لك تحبيراً [٤]. وبما رواه عبد اللَّه بن مُغَفَّل قال: قرأ رسول الله ﷺ عامَ الفَتْح في مسير له سورة «الفتح» على راحلته فرجّع في قراءته[٥]. وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعيّ وابن المبارك والنَّضْر بن شُمَيْل، وهو اختيار أبي جعفر الطبريّ وأبي الحسن ابن بَطّال والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

قلت: القول الأوّل أصح لما ذكرناه ويأتي. وأما ما احتجّوا به من الحديث الأوّل فليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب، أي: زيّنُوا أصواتكم بالقرآن. قال الخَطّابيّ: وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث: زيّنُوا أصواتكم بالقرآن؛ وقالوا هو من باب المقلوب؛ كما قالوا: عَرَضْتُ الحَوْضَ على الناقة، وإنما هو عرضت الناقة على الحوض. قال: ورواه مَعْمَر عن منصور عن طلحة؛ فقدّم الأصوات على القرآن، وهو الصحيح.

قال الخطابيّ: ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عَوْسَجة عن البَرَاء أن رسول الله ﷺ قال: «زينوا القرآن بأصواتكم»، أي: الْهَجُوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعاراً وزينة؛ وقيل:

---

(١) النبر: عند العرب هو ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة: إذا تكلم كلمة فيها علو.. وكل شيء ارتفع نبرة. اللسان «نبر».

(٢) صحيح: أبو داود (١٤٦٨) في الصلاة، والنسائي (٢/ ١٣٩) في الافتتاح، وابن ماجه (١٣٤٢) في إقامة الصلاة والسنة فيها، كلهم عن البراء رضي الله عنه، وصححه الألباني (٣٥٨٠) في صحيح الجامع.
قلت: وله رواية عن أبي هريرة عند أبي نصر الحشري، وعن ابن عباس كما عند الطبراني، وعند أبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) متفق عليه: البخاري (٧٥٢٧) في التوحيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٧٩٢) في صلاة المسافرين وقصرها بنحو.

(٤) صحيح بشواهده: أحمد في المسند (١/ ١٧٢)، وكذا ذكره الهيثمي (٩/ ٣٦٠) معزواً للطبراني بسند فيه خالد بن نافع الأشعري، ووثقه ابن حيان وضعفه جماعة وصححه الحافظ (٩/ ٩٣) في الفتح.

(٥) متفق عليه: البخاري (٥٠٣٤) في فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٤/ ٢٣٧) في صلاة المسافرين وقصرها.

مـعناه الحض على قراءة القـرآن والدُّؤوب[١] عليـه. وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنـه قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «زيّنوا أصواتكم بالقـرآن»[٢]، وروي عن عمـر أنه قال: حَسِّنوا أصواتكم بالقرآن[٣]..

قلت: وإلى هذا المعنى يرجع قولُه عليه السلام: «ليس منّا مَن لم يتغنّ بالقرآن»[٤] أي: ليس منا من لم يحسّن صوته بالقرآن؛ كذلك تأوّله عبد اللَّه بن أبي مليكة. قال عبد الجبار بن الورد: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عـبد اللَّه بن أبي يزيد: مرّ بنا أبو لُبَابة فاتبعناه حـتى دخل بيته، فإذا رجل رَثّ[٥] الهيئة، فسـمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن». قال فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا مـحمد، أرأيت إذا لم يكن حَسَنَ الصوت؟ قال: يحسّنه مـا استطاع. ذكره أبو داود[٦]، وإليه يرجع أيضاً قول أبي موسـى للنبيّ ﷺ: «إنّي لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحسّنت صوتي بالقرآن، وزيّنته ورتّلته. وهذا يدل [على] أنه كان يَهُذّ[٧] في قراءته مع حُسْن الصوت الذي جُبل عليـه. والتحـبير: التـزيين والتحـسين» فلو علم أن النبيّ ﷺ كان يسـمعـه لمدّ في قراءته ورتّلها؛ كـما كان يقـرأ على النبيّ ﷺ؛ فيكون ذلك زيادة في حـسن صوته بالقراءة. ومـعاذ الله أن يتأوّل على رسول الله ﷺ أن يقـول: إن القرآن يُزَيّن بالأصوات أو بغيرها؛ فـمن تأوّل هذا فقد واقع أمراً عظيماً أن يُحْوِج القرآن إلى من يزيّنه، وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيـائه. وقد قيل: إن الأمر بالتـزيين اكتسـاب القراءات وتزيينها بأصـواتنا وتقدير ذلك، أي: زينوا القراءة بأصواتكم؛ فيكون القرآن بمعنى القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، أي: قراءة الفجر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة ١٨]، أي: قراءته. وكما جاء في «صحيح مسلم» عن عبد اللَّه بن عمرو قـال: إن في البحر شياطين مسجونة أوثقهـا سليمان عليه السلام، ويوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً[٨]؛ أي قراءة. وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

ضَحُّوا بأشْمَطَ عنوانُ السجودِ به ... يقطّع الليلَ تسبيحاً وقرآنا[٩]

أي: قراءة، فيكـون معناه على هذا التأويل صحـيحاً إلا أن يخرج القـراءة التي هي التلاوة عن

---

(١) الدؤوب: من داب، أي: وجد وتعب، كما في مختار الصحاح (ص ١٨٣).

(٢) صحيح: وقد سبق.

(٣) منقطع: ابن أبي شيبة (٦/ ١١٨) في المصنف، عن إبراهيم عن عمر رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه. وقد سبق.

(٥) رث: الرثّ والرثّة والرثيث: الخَلَقُ الخسيس البالي من كل شيء والجمع رثاث. اللسان «رثث».

(٦) حسن صحيح: أبو داود (١٤٧١) في الصلاة، والبيهقي (١/ ٥٨) في السنن الصغرى، و(٢/ ٥٤) في الكبرى وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٧) يهذ: الهذّ هو سرعة القطع وسرعة القراءة. اللسان «هذى».

(٨) صحيح موقوف: مسلم في المقدمة (١/ ٩٦) مع شرح النووي، وحمله النووي على أن المعنى هو: (تقرأ شيئًا ليس بقرآن وتقول: إنه قرآن لتغرى به عوام الناس فلا تغيرون).

(٩) هو حسان بن ثابت رضي الله عنه وهو شاعر النبي ﷺ (ت ٥٤هـ).

والشَّمَطُ - بفتحتين: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط والمرأة شمطاء. مختار الصحاح (ص١٤٦).

حدّها على ما نبيّنه فيمتنع. وقد قيل: إن معنى يتغنّى به، يستغني به من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار، لا من الغناء؛ يقال: تغنّيت وتغانيت بمعنى استغنيت. وفي الصحاح: تغنى الرجل بمعنى استغنى، وأغناه الله. وتغانوا، أي: استغنى بعضهم عن بعض. قال المغيرة بن حَبْناء التميمي(١):

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عُيَيْنة ووكيع بن الجرّاح، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وقّاص. وقد رُوي عن سفيان أيضاً وجه آخر، ذكره إسحاق بن راهويه، أي: يستغنى به عما سواه من الأحاديث. وإلى هذا التأويل ذهب البخاريّ محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]. والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم؛ قاله أهل التأويل. وقيل: إن معنى يتغنّى به: يتحزّن به؛ أي: يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضدّ السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية؛ لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغانى به، ولم يقل يتغنّى به. ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم: الإمام أبو محمد ابن حبّان البُسْتيّ، واحتجوا بما رواه مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المِرْجَل من البكاء(٢). الأزيز [بزايين]: صوت الرعد وغَلَيان القِدْر. قالوا: ففي هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزّن؛ وعَضَدُوا هذا أيضاً بما رواه الأئمة عن عبد الله قال: قال النبيّ ﷺ: «اقرأ عليّ» فقرأت عليه سورة «النساء» حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان(٣).

فهذه أربعة تأويلات، ليس فيها ما يدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها. وقال أبو سعيد بن الأعرابيّ في قوله ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»(٤) قال: كانت العرب تُولَع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هِجِّيراهم(٥) مكان الغناء؛ فقال: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»(٦).

التأويل الخامس: ما تأوّله مَن استدلّ به على الترجيع والتطريب؛ فذكر عمر بن شبّة قال: ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عُيَيْنَة في قوله: «يتغنّ» يستغنى؛ فقال: لم يصنع ابن عُيَيْنَة شيئاً(٧). وسُئل الشافعيّ عن تأويل ابن عُيينة فقال: نحن أعلم بهذا، لو أراد النبيّ ﷺ الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن لما قال: «يتغنّ» علمنا أنه أراد التغنّي(٨). قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب

(١) هو المغيرة، وأبوه هو: عمرو بن ربيعة بن أسيد، وحبناء هذه أمه، والبيت في اللسان «غنى».

(٢) صحيح: أبو داود (٩٠٤) في الصلاة، وصححه الألباني هناك، وابن حبان (٣/ ٣٠) برقم (٧٥٣) في صحيحه.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٥٥) في فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٠) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: وقد سبق.

(٥) هجيراهم: الهجيرى: الدأب والعادة والديدن. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤٥).

(٦) صحيح: وقد سبق.

(٧) ذكره الطبري (١٤/ ٦٠) في تفسيره.

(٨) هكذا رواه البيهقي (١/ ٥٥٩) في سننه الصغرى.

أن التغنّي إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع. وقال الشاعر:

تَغنّ بالشّعر مهما كنتَ قائلَه إن الغناء بهذا الشّعر مضمارُ

قال: وأما ادّعاء الزاعم أن تغنّيت بمعنى استغنيت، فليس في كلام العرب وأشعارها، ولا نعلم أحداً من أهل العلم قاله؛ وأما احتجاجه بقول الأعشى:

وكنُت امرأ زَمَناً بالعراق عفيفَ المُناخ طَويلَ التَّغَن

وزعم أنه أراد الاستغناء فإنه غلط منه، وإنما عنى الأعشى في هذا الموضع الإقامة، من قول العرب: غنِيَ فلان بمكان كذا، أي: أقام؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [الاعراف: ٩٢] وأما استشهاده بقوله:

ونحن إذا متنّا أشدُّ تغانيَا

فإنه إغفال منه؛ وذلك أن التغاني تفاعل من نفسين إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه؛ كما يقال: تضارب الرجلان: إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه. ومن قال هذا في فعل الاثنين لم يجز أن يقول مثله في الواحد؛ فغير جائز أن يقال: تغانى زيد وتضارب عمرو؛ وكذلك غير جائز أن يقال: تغنّى بمعنى استغنى.

قلت: ما ادّعاه الطبري من أنه لم يَرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى، فقد ذكره الجوهريّ كما ذكرنا، وذكره الهَرَويّ أيضاً. وأما قوله: إن صيغة فاعل إنما تكون من اثنين فقد جاءت من واحد في مواضع كثيرة؛ منها قول ابن عمر: وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام[1]. وتقول العرب: طارقتُ النعلَ، وعاقبت اللصَّ، وداوَيْت العَليل، وهو كثير؛ فيكون تغانى منها. وإذا احتمل قوله عليه الصلاة و السلام: «يتغنّ» الغناء والاستغناء فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر، بل حمله على الاستغناء أولَى لو لم يكن لنا تأويل غيره، لأنه مرويّ عن صحابيّ كبير كما ذكر سفيان. وقد قال ابن وهب في حق سفيان: ما رأيت أعلم بتأويل الأحاديث من سفيان بن عُيَيْنَة، ومعلوم أنه رأى الشافعيّ وعاصره.

وتأويل سادس: وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيّ حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به»[2]. قال الطبريّ: ولو كان كما قال ابن عُيَيْنَة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنًى.

قلنا: قوله: «يجهر به» لا يخلو أن يكون من قول النبيّ ﷺ، أو من قول أبي هريرة أو غيره، فإن كان الأوّل وفيه بُعْدٌ، فهو دليل على عدم التطريب والترجيع؛ لأنه لم يقل: يطرب به، وإنما قال: يجهر به، أي يسمع نفسه ومن يليه؛ بدليل قوله عليه السلام للذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل: «أيها الناس اربعوا[3] على أنفسكم فإنكم لستم تدعون أصمّ ولا غائباً...»[4] الحديث، وسيأتي.

---

(١) متفق عليه: من قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري في كتاب العلم (١/ ٤١)، وعند مسلم (٤/ ٥٠/ ٤٢٤) في الصلاة.. وناهزت: قاربت ودنوت.

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٠٢٤) في فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤) في صلاة المسافرين وقصرها واللفظ له.

(٣) اربعوا: من الربع وهو التوقف والانتظار كما في النهاية (٢/ ١٨١) لابن الأثير، زاد صاحب اللسان في مادة «ربع»: أنه الكف والرفق.

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٣٨٤) في الدعوات، ومسلم (٤/ ٢٧٠٤) في الذكر والدعاء.

وكذلك إن كان من صحابيّ أو غيره فلا حجة فيه على ما راموه؛ وقد اختار هذا التأويل بعض علمائنا فقال: وهذا أشبه، لأن العرب تسمّي كل من رفع صوته ووالى به غانياً، وفعله ذلك غِناء وإن لم يلحنه بتلحين الغناء. قال: وعلى هذا فسره الصحابيّ، وهو أعلم بالمقال، وأقعد بالحال.

وقد احتج أبو الحسن بن بطال لمذهب الشافعيّ فقال: وقد رفع الإشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبي شيبة قال: حدّثنا زيد بن الحُبَاب قال: حدّثنا موسى بن عليّ بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن وغنّوا به واكتبوه، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيًا (١) من المخاض من العُقُل»(٢). قال علماؤنا: وهذا الحديث وإن صح سنده فيردّه ما يعلم على القطع والبتات من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ، جيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب، مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المدّ والإدغام والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءات. ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ومدّ ما ليس بممدود؛ فترجع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات والشبهة الواحدة شبهات، فيؤدّي ذلك إلى زيادة في القرآن وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيّروها نبرات وهمزات، والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لا غير؛ إما ممدودة وإمّا مقصورة. فإن قيل: فقد روى عبد الله بن مُغَفَّل قال: قرأ رسول الله ﷺ في مسير له سورة «الفتح» على راحلته فرجّع في قراءته؛ وذكره البخاري(٣) وقال في صفة الترجيع: آءآءآ، ثلاث مرات.

قلنا: ذلك محمول على إشباع المدّ في موضعه، ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة؛ كما يعتري رافع صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هز المركوب؛ وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه. وقد خرّج أبو محمد عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المدّ ليس فيها ترجيع. وروى ابن جُريج عن عطاء عن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذن يُطرّب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الأذان سهل سمح فإذا كان أذانك سمحاً سهلاً وإلا فلا تؤذّن». أخرجه الدّارَقُطْنيّ في سُنَنه(٤). فإذا كان النبيّ ﷺ قد منع ذلك في الأذان فأحْرَى ألاّ يجوّزه في القرآن الذي حفظه الرحمن، فقال وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قلت: وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات، فإن

---

(١) تفصيًا: يقال تفصيت من الأمر تفصيًا: إذا خرجت منه وتخلصت. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٢) لابن الأثير.

(٢) صحيح: أحمد (١٧٢٩٤) (٤/ ٥٠) في المسند، وفي المجمع (٧/ ١٦٩) قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، وهو عند النسائي (٨٠٣٤) في الكبرى، وكذا صححه الألباني (٣٢٨٥) في الصحيحة، وفي صفة الصلاة (١/ ١٢٥)، و(٢٩٦٤) في صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٤٧) في فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٤) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) ضعيف جدًا: الدارقطني (١/ ٢٩٩) في سننه، وكذا ضعفه الألباني (١٤٠٦) في ضعيف الجامع.

زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق؛ كما يفعل القرّاء بالدّيار المصرية الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز؛ ضلّ سعيُهم، وخاب عملهم، فيستحلّون بذلك تغيير كتاب الله، ويهوّنون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه؛ جهلاً بدينهم، ومُروقاً (١) عن سُنّة نبيّهم، ورفْضاً لسِيَر الصالحين فيه من سلَفهم، ونزوعاً (٢) إلى ما يُزيّن لهم الشيطان من أعمالهم؛ وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنون صُنْعاً؛ فهم في غَيّهم(٣) يتردّدون، وبكتاب الله يتلاعبون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون لكن قد أخبر الصادق أن ذلك يكون، فكان كما أخبر ﷺ.

ذكر الإمام الحافظ أبو الحسين رَزين وأبو عبد اللّه الترمذيّ الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث حُذَيفة أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن بلُحُون العرب وأصواتها، وإياكم ولُحُون أهل العشق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنَّوْح لا يجاوز حناجرهم ٥/ مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»(٤). اللحون: جمع لَحْن، وهو التّطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء.

قال علماؤنا: ويشبه أن يكون هذا الذي يفعله قرّاء زماننا بين يدي الوعاظ، وفي المجالس من اللحون الأعجمية التي يقرؤون بها، ما نهي عنه رسول الله ﷺ. والترجيع في القراءة: ترديد الحروف كقراءة النصارى. والترتيل في القراءة: هو التأنّي فيها والتمهّل، وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثّغر المرتَّل، وهو المشبَّه بنَوْر الأقحوان، وهو المطلوب في قراءة القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وسُئلت أمُّ سَلَمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته؛ فقالت: ما لكم وصلاته كان يصلّي ثم ينام قدر ما صلّى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلّى حتى يُصبح(٥)، ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حَرْفاً حرفاً. أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب(٦).

---

(١) المروق: الخروج. اللسان «مرق».

(٢) النزوع: أصله الجذب والقطع، ومنه: نزع الميت روحه، ونزع القوس إذا جذبها، ونزع الإنسان: حن واشتاق فهو نَزِع. اللسان «نزع».

(٣) الغي: الضلال والخيبة. مختار الصحاح (ص ٢٠٣).

(٤) ضعيف جدّا: الهيثمي (٧/ ١٦٩) في المجمع، وعزاه الطبراني في الأوسط وفيه راوٍ لم يسم، وبقية مدلس
وقال الذهبي (٢/ ٣١٣) في الميزان: «تفرد به بقية عن حصين بن مالك الفزاري، وليس بمعتمد، والخبر منكر».
وقال ابن الجوزي (١/ ١١٨) في العلل: «هذا حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول، وبقية يروى من حديث الضعفاء ويدلسهم».
قلت: وضعفه الألباني (١٠٦٧) في ضعيف الجامع.

(٥) هذه زيادة من الترمذي (٢٩٢٣) وانظر التالي.

(٦) حسن صحيح غريب: أبو داود (١٤٦٦) في الصلاة، والترمذي (٢٩٢٣) في فضائل القرآن، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٦٠).

باب تحذير أهل القرآن والعلم من الرياء وغيره

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أوّل الناس يُقْضَى عليه يوم القيامة رجلٌ استُشْهِد فأُتِيَ به فعرّفه نِعَمَه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت قال: كذبتَ ولكنك قاتلتَ لأن يقال: جريء فقد قيل ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار ورجلٌ تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأُتِيَ به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمتُه وقرأتُ فيك القرآن قال كذبتَ ولكنك تعلمتَ العلم ليقال عالم وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار ورجلٌ وَسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه فأُتِيَ به فعرّفه نِعَمه فعرفها قال فما عملتَ فيها قال ما تركتُ من سبيل تُحبّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك قال كذبتَ ولكنك فعلتَ ليقال هو جواد فقد قيل ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه ثم ألقي في النار»[١]. وقال الترمذي في هذا الحديث: ثم ضرب رسول الله ﷺ على رُكْبَتي فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أوّل خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[٢]. أبو هريرة اسمه عبد الله، وقيل: عبد الرحمن. وقال: كُنِّيتُ أبا هريرة لأني حملت هِرّة في كُمّي، فرآني رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه»؟ قلت: هرّة، فقال: «يا أبا هريرة»[٣]. قال ابن عبد البر: وهذا الحديث فيمن لم يُرِد بعمله وعلمه وجهَ الله تعالى. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله؛ فليتبوأ مقعده من النار»[٤].

وخرّج ابن المبارك في رقائقه عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر هذا الدِّين حتى يجاوز البحار، وحتى تخاض البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ثم يأتي أقوام يقرأون القرآن فإذا قرؤوه قالوا: مَن أقرأ منا؟ مَن أعلم منا؟» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «هل ترون في أولئكم من خير» قالوا: لا. قال: «أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار»[٥]. وروى أبو داود والترمذيّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلّم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلّمه إلا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة». يعني: ريحها. قال الترمذي: حديث حسن[٦]. وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوّذوا بالله من جُبّ[٧] الحَزَن» قالوا: يا رسول الله وما جب الحَزَن؟ قال: «وادٍ في جهنم تتعوّذ منه جهنم في كل

---

(١) صحيح: مسلم (١٩٠٥/ ١٥٢) في الإمارة

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣٨٢) في الزهد، وصححه الألباني هناك. ط الريان.

(٣) كذا في الاستيعاب (٤/ ١٧٧٠) لابن عبد البر رحمه الله.

(٤) ضعيف: ابن ماجه (٢٥٨) في المقدمة، وبنحوه الترمذي (٢٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما في العلم وضعفه الألباني في الموضعين.

(٥) ضعيف جدًا: ابن المبارك (٤٢٥) في الزُّهد والرقائق، وفيه موسى بن عبيدة الرَّبذي، وهو ضعيف جدًا.

(٦) حسن: أبو داود (٣٦٦٤) في العلم، ولم أقف عليه في الترمذي، وصححه الألباني (٦١٥٨) صحيح الجامع.

(٧) الجب: البئر التي لم تُطْوَ. يعني لم تبن بالحجارة. مختار الصحاح (ص ٩١).

يوم مائة مـرة» قيل: يا رسـول الله ومن يدخله؟ قال: «القرّاء المراؤون بأعـمالهم» قـال: هذا حديث غريب(١). وفي كتاب أسد بن موسى أنّ النبيّ ﷺ قال: «إن في جهنم لواديا إن جهنم لتتعوّذ من شرّ ذلك الوادي كل يوم سبع مَرّات ، وإن في ذلك الوادي لَجُبًّا إن جهنم وذلك الوادي ليتعوّذان بالله من شرّ ذلك الجُبّ، وإن في الجُبّ لحيّة وإن جهنم والوادي والجبّ ليتـعوّذون بالله من شر تلك الحية سبع مرات أعدّها الله للأشقياء من حَمَلة القرآن الذي يعصون الله»(٢). فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتـقي الله في نفسـه ويُخلِص العـمل لله، فإن كـان تقدّم له شيء مما يكره فليـبادر التـوبة والإنابة، وليبتـدئ الإخلاص في الطلب وعمله، فالذي يـلزم حامل القرآن من التّحفـظ أكثر مما يلزم غيره، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره. روى الترمذي عن أبي الدَّرْداء قال : قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله في بعض الكتب أو أوْحى إلى بعض الأنبياء قُلْ للذين يتفقّهون لغير الدِّين، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنـيا بعمل الآخرة يلبسـون للناس مُسُوك(٣) الكِباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلَى من العسل ،وقلوبهم أمَرّ من الصبر إياي يخـادعون، وبي يستهزئون، لأُتيحنّ لهم فتنةً تذَر الحليم فيهم حَيْرَان»(٤).

وخرّج الطبريّ في كتـاب « آداب النفوس»: حدّثنا أبو كُريب محمـد بن العلاء، حدّثنا المُحاربيّ عن عمرو بن عـامر البَجَليّ عن ابن صَدَقـة عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ أو مَن حـدّثه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخـادع الله فإنه من يخادع الله، يخـدعه الله ونَفْسَـه يخدع لو يَشْعُـر». قالوا: يارسول الله ﷺ، وكيف يخادع الله؟ قال: «تعمل بما أمـرك الله به وتطلب به غيره واتقوا الرياء فإنه الشرك وإن المُرَائي يُدعَى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بأربعة أسـماء ينسب إليها يا كافر يا خاسر يا غادر يا فاجر ضَلّ عَـمَلُك وبَطَلَ أجرك فلا خلاق(٥) لك اليوم فالتـمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع»(٦). وروى عَلْقَمة عن عبد اللّه بن مسعود قال: كيف أنتم إذا لَبِستكم فتنةٌ يَرْبُو فيها الصغير، ويَهْرَم الكبير، وتُتّخذ سُنّة مُبْتَدَعة ، يجري عليـها الناس، فإذا غُيِّر منها شيء قيل: قد غُيِّرت السُّنة.

---

(١) ضعيف : الترمذي (٢٣٨٣) في الزهد، وضعفه الألباني هناك .

(٢) ضعيف : البيهقي (١٩٠٠) في الشُّعب، وفيه بكر بن خُنيس وهو صدوق وله أغلاط .

(٣) مُسُوك : ج (مَسْك) بفتح الميم وتسكين السين المهملة وهـو الجلد ، وخص بعضهم به جلد السخلة ، ثـم تخثر حتى صار كل جلد مسكًا . اللسان «مسك» .

(٤) ضعيف : الترمذي (٢٤٠٤، ٢٤٠٥) في الزهد، وقد ضعفه الألباني هناك.

(٥) خلاق : حظ من الخير .اللسان «خلق» .

(٦) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] (١/٥٠٦) طبعـة دار الخير: «ولاشك أن الـله لا يُخادعُ ، فإنه العـالم بالسرائر والضـمائر ، ولكن المنافقين لجـهلهم وقلة علمهم وعقلهم ويعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس ، وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً ، فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامـة ، وأن أمرهم يروج عنده، كما أخبر تعالى أنهم يوم القيـامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ، ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ [المجادلة:١٨] الآية . وقوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] ، أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا ، وكذلك يوم القيامة » .

قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كَثُر قرّاؤكم، وقَلّ فقهاؤكم، وكَثُرَ أمراؤكم، وقلّ أمناؤكم، والْتُمست الدنيا بعمل الآخرة، وتُفُقّه لغير الدِّين[١]. وقال سفيان بن عُيَيْنة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي، لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله، وهانوا على الناس[٢]. ورُوي عن أبي جعفر محمد بن عليّ في قول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] ، قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره. وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

باب

ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه

فأوّل ذلك أن يُخلص في طلبه لله جلّ وعزّ كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه. روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مَثَلُ صاحب القرآن كَمَثَل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها ،وإن أطلقها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذَكَره ، وإذا لم يقم به نَسِيَه»[٣]. وينبغي له أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتصماً، وللموت ذاكراً، وله مستعداً. وينبغي له أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عَفْوَ ربه؛ ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذ لا يَعلم بما يُختم له؛ ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، لحسن الظن بالله» قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن بالله الظن»[٤]. أي : أنه يرحمه ويغفر له. وينبغي له أن يكون عالماً بأهل زمانه، متحفّظاً من سلطانه، ساعياً في خلاص نفسه، ونجاة مُهْجَته. مقدّماً بين يديه ما يقدر عليه من عَرَض دنياه، مجاهداً لنفسه في ذلك ما استطاع. وينبغي له أن يكون أهمّ أموره عنده الوَرَع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه. وقال

---

(١) ضعيف : ذكره ابن حجر (٣٢٠٢) في المطالب العالية ، والزبيدي (٨/ ٢٦٢) في إتحاف السادة المتقين .

(٢) منقطع : وسفيان بن عيينة بينه وبين ابن عباس رضي الله عنهما ما لم تبلغه الأيام والليالى من الرجال .

(٣) متفق عليه : البخاري (٥٠٣١) في فضائل القرآن ، ومسلم (٧٨٩/ ٢٢٦) في صلاة المسافرين وقصرها .

قلت : «والإبل المعقلة : بضم الميم وتشديد القاف هي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشدُّ ركبته البعير ، شبه دارس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ ، وخصّ الإبل بالذكر؛ لأنها أشد الحيوان الإنسي (الأليف) نفوراً ، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة» انتهى. الفتح (٩/ ٧٩) .

(٤) صحيح : مسلم (٢٨٧٧/ ٨١، ٨٢) في الجنة وصفة نعيمها . وحسن الظن : رجاء الرحمة ، والتحذير من القنوط، والحث على الرجاء ، وعقيدة أهل السنة الخوف في الحياة ، والرجاء في الاحتضار .

وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله : «ولكن متى يكون العبد محسنًا الظنّ بالله عزّ وجلّ ؟ يكون كذلك إذا فعل ما يوجب فضل الله ورحمته ، فيعمل الصالحات ويحسن الظن بأن الله تعالى يقبله ، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل ، فهذا من باب التمنى على الله ، ومن أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى وهو عاجز ، حسن الظن بأن يوجد من الإنسان عمل يقتضى حسن الظن بالله عز وجل ، فمثلاً أحسن الظن بالله بأن الله يقبلها منك ، أما أن تحسن الظن بالله مع مبارزتك له بالعصيان فهذا دأب العاجزين الذين ليس عندهم رأس مال يرجعون إليه » انتهى .شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٦٦) لابن عثيمين ـ رحمه الله .

ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون[١]، وبحزنه إذا الناس يفرحون[٢]. وقال عبد الله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن؛ لأن في جوفه كلام الله تعالى. وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتّصاون عن طُرق الشُّبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار. وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنّب التكبّر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب. وينبغي له أن يكون ممن يؤمَن شرّه، ويُرْجَى خيره، ويُسلم من ضرّه، وألا يسمع ممن نَمّ عنده؛ ويصاحب من يعاونه على الخير، ويدلّه على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يَشينه[٣]. وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن. فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو؛ فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه؛ فما مَثَل من هذه حالته إلاّ كَمَثَل الحمار يحمل أسفاراً. وينبغي له أن يعرف المكيّ من المَدَنيّ ليفرّق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أوّل الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أوّل الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره. فالمدنيّ هو الناسخ للمكيّ في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكيُّ المَدَنيَّ؛ لأن المنسوخ هو المتقدّم في النزول قبل الناسخ له. ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسّهل عليه معرفة ما يقرأ، ويزيل عنه الشك فيما يتلو. وقد قال أبو جعفر الطبريّ سمعت الجَرْميّ يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أفْتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه. قال محمد بن يزيد: وذلك أن أبا عمر الجَرْميّ كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفسير. ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله عزّ وجل في كتابه وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً؛ وقد قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال: حَقٌّ على كل مَن تعلّم القرآن أن يكون فقيهاً[٤].

وذكر ابن أبي الحواريّ[٥] قال: أتينا فُضيل بن عِيَاض[٦] سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول؛ فقال بعض القوم: إن كان خارجاً لشيء فسيخرج

---

(١) يختالون: من الاختيال وهو الكبر. اللسان «خيل».

(٢) منقطع: بين ابن مسعود والمسيب بن رافع. المصنف (٧/ ٢٣١) لابن أبي شيبة.

(٣) يشينه: الشين ضد الزين وهو القبح. اللسان «شين».

(٤) كذا في سنن الدارمي (١/ ١٠٧ برقم ٣٢٨) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

(٥) لا يمكن أن يكون أحمد بن أبي الحواري إذ توفي (٢٣٠هـ).

(٦) هو الفضيل بن عياض التميمي أبو علي، أحد رباني هذه الأمة، صدوق صحيح الحديث بل ثقة، وكان عابداً زاهداً، جمع فنون الشريعة (ت ١٨٧هـ).

لتلاوة القرآن؛ فـأمرنا قارئاً فقرأ فـاطّلع علينا من كُوّة[١]؛ فقلنا: السلام عليك ورحـمة الله؛ فقال: وعليكم السلام؛ فقلنا: كيف أنت يا أبا عليّ، وكيف حـالك؟ فقال: أنا من الله في عافية ومنكم في أذًى، وإن ما أنتم فيه حَدَثٌ في الإسلام، فـإنّا لله وإنّا إليه راجعون ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكنا كنا نأتي المَشْـيخة فـلا نرى أنفسنا أهلاً لـلجلوس معهـم، فنجلس دونهم ونسترق السمع، فـإذا مرّ الحديث سـألناهم إعادته وقيدناه، وأنتم تطلبـون العلم بجهل، وقد ضـيعتم كتـاب الله، ولو طلبتم كتـاب الله لوجدتم فيه شـفاء لما تريدون؛ قال: قلنـا قد تعلمنا القرآن؛ قـال: إن في تعلّمكم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم؛ قلنا: كيف يا أبا عليّ؟ قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومُحْكَمه من مُتَشابهـه، وناسخه من منسوخه؛ إذا عرفتم ذلك استغنيتم عـن كلام فُضَيل وابن عُيَيْنة، ثم قال: أعـوذ بالله السميع العليم من الشـيطان الرجيم، بسم الله الرحـمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قلت: فإذا حصلت هذه المراتب لقـارئ القرآن كان ماهراً بالقرآن، وعالماً بالفُـرْقان؛ وهو قريب على مَن قرّبه عليه، ولا ينتـفع بشيء مما ذكرنا حتى يُخلص النية فيه لله جل ذكـره عند طلبه أو بعد طلبه كما تقـدّم. فقد يبتدئ الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف فـي الدنيا، فلا يزال به فهم العلم حتى يتبـيّن أنه على خطأ في اعتقاده فيـتوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فـينتفع بذلك ويحسن حاله. قال الحسن: كنا نطلب العلم للدنـيا فجرّنا إلى الآخرة. وقاله سفيان الـثّوريّ. وقال حبيب بن أبي ثابت: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نِيّة ثم جاءت النية بعد[٢].

باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحَثّ عليه، وثـواب من قـرأ القـرآن مُعْرِبًا

قال أبو بكر بـن الأنباريّ: جاء عن النبيّ ﷺ وعن أصـحابه وتابعـيهم رضوان الله عـليهم من تفضيل إعراب القرآن، والحَضّ على تعليمه، وذمّ اللحن[٣] وكراهيته ما وجب به على قرّاء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه.

من ذلك: ما حدّثنا يحيى بن سليمان الضّبيّ قال: حدّثـنا محمد يعني ابن سعيد قال: حدّثنا أبو معـاوية عن عبد الله بن سعـيد المَقْبُـريّ عن أبيه عن جدّه عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قـال: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[٤]. حدثني أبي قال: حدّثنا إبراهيم بن الهَـيْثم قال: حدّثنا آدم يعني ابن أبي

(١) كُوّة: فتحة أو خرق في الجدار. اللسان «كوى».

(٢) رواه ابن الجـعد (١/ ٩٦) في مـسنده، ورواه الخطيب البغـدادي (٢/ ٢٦٧) في الجامع لأخـلاق الراوي وآداب السامع.

(٣) اللحن: الميل عن جـهة الاستقـامة، يقال: لحن فـلان في كلامه: إذا مـال عن صحيح المنطق. النهاية (٤/ ٢٤١) لابن الأثير.

(٤) ضعيف جدًا: قال الهيثمي (٧/ ١٦٣) في المجمع: «رواه أبو يعلى، وفيه عـبد الله بن سعيـد المقبري وهو =

إياس قال :حدّثنا أبو الطيب المَرْوَزِيّ قال :حدّثنا عبد العزيز بن أبي روّاد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسـول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فلم يُعْرِبه ،وكُلّ بـه مَلَك يكتب له كما أنزل بكل حرف عـشر حسنات؛ فإن أعـرب بعضه؛وكّل به مَلَكان يكتبـان له بكل حرف عشرين حسـنة، فإن أعربه وكّل به أربعة أملاك يكتبون له بـكل حرف سبعين حسنة»(١). وروى جُوَيْبِر عن الضحـاك قال: قال عبد اللّه بن مسـعود: جـوّدوا القرآن وزيّنوه بأحـسن الأصوات، وأعربـوه فإنه عربيّ، والله يـحب أن يُعْرَب به(٢). وعن مجاهد عن ابن عمر قال: أعربوا القرآن. وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال: قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لَبَـعْضُ إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ حروفه(٣). وعن الشعبيّ قال: قال عـمر رحمه الـله: من قرأ القرآن فأعـربه كان له عند الله أجر شهـيد(٤). وقال مكحول: بلغني أن من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعـفان ممن قرأ بغير إعراب. وروى ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبّوا العرب لثلاث: لأني عربيّ ، والقرآن عربيّ، وكلام أهل الجنة عربيّ»(٥). وروى سفيان عن أبي حـمزة قال: قيل للحسن في قوم يتعلمـون العربية قال: أحْسَنُوا، يتعلّمون لغة نبيّهم ﷺ. وقيل للحسن: إن لنا إماماً يَلحن، قال: أخّروه.

وعن ابن أبي مليكة(٦) قال: قدم أعـرابيّ في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عـنه فقال: مَن يُقـرئني مما أنزل على محـمد ﷺ؟ قـال: فأقـرأه رجل «براءة؛» فـقال: «أن الله بريء من المشـركين ورسوله» بالجرّ، فـقال الأعرابيّ: أوَ قد بَرئ الله من رسوله؟ فـإن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه» فبلـغ عمر مـقالة الأعرابـيّ فدعاه فـقال: يا أعرابـيّ أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فـقال: يا أمـير المؤمنين، إني قـدِمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فـسألت من يُقـرئني، فأقرأنـي هذا سورة «براءة»، فقال: أن الله بريء من المشركين ورسـوله؛ فقلت: أوَ قد برئ الله من رسوله، إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه؛ فقال عمـر: ليس هكذا يا أعرابيّ؛ قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:٣] فقال الأعرابيّ: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه؛ فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألاّ يُقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو(٧).

=متروك » ورواه الحاكم (٢/ ٤٧٧) في المستدرك وصححه وقال الذهبي : «مجمع على ضعفه» . ورواه البيهقي (٢/ ٤٢٧) في الشُّعب.

قلت : وضعفه الألباني (٩٣٦) في ضعيف الجامع ، و(١٣٤٥) في الضعيفة .

(١) موضوع : فيه ابن أبي روّاد وهو ضعـيف ، وفيه أبو الطيب الحزمي ، وهو كـذاب خبيث كمـا في الميزان (٧/ ٣٨٦) للذهبي ـ رحمه الله .

(٢) موضوع : فيه جويبر وهو متروك ، والضحاك لم يلق ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) موضوع : محمد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هالك هو وأبوه ، ثم بينه وبين الشيخين زمان طويل .

(٤) منقطع : فالشعبي لم يلق عمر رضي الله عنه .

(٥) موضوع : الطبراني في الأوسط والكبيـر ، وفيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضعـفه كما في المجمع (١٠/ ٥٢) ، وكذا قال الألباني (١٧٣) في ضعيف الجامع .

(٦) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، مدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كما في التقريب (١/ ٤٣١).

(٧) هذا مناف لما عليه الإجماع بأن النحو وضع في عهد علي رضي الله عنه ، كما أتى بالأسود الدئلي ، وفي البداية والنهاية (٨/ ٦٨٣) قال ابن خلكان ـ كما نقل عنه ابن كثير ـ رحمه الله :« كان أول من ألقى إليه علم النحو =

وعن عليّ بن الجَعْد قال : سمعت شُعبة يقول: مَثَلُ صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مَثَلُ الحمار عليه مُخلاة لا عَلَف فيها. وقال حماد بن سَلَمة: من طلب الحديث ولم يتعلم النحو أو قال العربية فهو كمثل الحمار تُعلَّق عليه مِخلاة ليس فيها شعير[١]. قال ابن عطية: إعراب القرآن أصل في الشريعة؛ لأن بذلك تقوّم معانيه التي هي الشرع.

قال ابن الأنباريّ: وجاء عن أصحاب النبيّ ﷺ وتابعيهم رضوان الله عليهم، من الاحتجاج على غريب القرآن ومُشْكله باللغة والشعر ما بيّن صحة مذهب النحويين في ذلك، وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم.

من ذلك: ما حدّثنا عُبيد بن عبد الواحد بن شريك البزاز قال حدّثنا ابن أبي مريم قال: أنبأنا ابن فَرّوخ قال أخبرني أسامة قال: أخبرني عكرمة أن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[٢]. وحدّثنا إدريس بن عبد الكريم قال: حدّثنا خلف قال: حدّثنا حماد بن زيد عن عليّ بن زيد بن جُدعان قال: سمعت سعيد بن جُبير ويوسف بن مِهران يقولان: سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء بالقرآن؛ فيقول فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. وعن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] قال: لا تلبس ثيابك على غَدْر؛ وتمثّل بقول غَيْلان الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوبَ غادرٍ ... لبِستُ ولا من سَوْءةٍ أتقنع

وسأل رجل عكرمة عن الزَّنيم قال: هو ولد الزِّنَا؛ وتمثّل ببيت شعر:

زَنيم ليس يُعرف من أبوه ... بغَيّ[٣] الأمِّ ذو حسَبٍ لئيم

وعنه أيضاً: الزنيم: الدعيّ الفاحش اللئيم، ثم قال:

زَنيم تداعاه الرجال زيادةً ... كما زيد في عَرْض الأديم الأكارعُ[٤]

وعنه في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] قال: ذواتا ظِلّ وأغصان؛ ألم تسمع إلى قول الشاعر:

ما هاج شوقك من هَديل حمامةٍ ... تدعو على فَنَنِ الغصون حماما[٥]

تدعو أبا فرخينِ صادف طائراً ... ذا مِخْلبين من الصقور قطاما[٦]

= علي بن أبي طالب ،وذكره أن الكلام :اسم ، وفعل، وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحا نحوه وفرع على قوله، وسلك طريقه ، فسمى هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبي الأسود على ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق» انتهى .

(١) كذا في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٠) للبيهقي برقم (١٦٨٩) .

(٢) صحيح موقوف : كذا قال البيهقي (١٠/ ٢٤١) في السنن الكبرى .

(٣) البغي : المرأة حرة أو أمة تفجر: اللسان «بغى».

(٤) البيت في اللسان (١٢/ ٢٧٧) ونسبه فيه ابن بري إلى الخطيم التميمي ، ونسبه من ناحية أبي عميد إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه .

(٥) البيت في اللسان (١١/ ٦٩١) ونسبه لابن بري وقال : وقد جاء الهذيل في صوت الهدهد .

(٦) صقر قطام : صقر لَحِم وهو المشتهى للحم وغيره . اللسان « قطم» .

وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قال: الأرض؛ قاله ابن عباس. وقال أُميّة بن أبي الصَّلْت[١]:

عندهم لحم بحر ولحم ساهرة

قال ابن الأنباريّ: والرواة يروون هذا البيت:

وفيها لحم ساهرةٍ وبَحْرٍ وما فاهُوا به لهُم مُقيم[٢]

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ما السِّنَةَ؟ قال: النُّعاس؛ قال زُهير بن أبي سُلْمَى[٣]:

لا سِنَةٌ في طَوالِ الليل تأخذه ولا ينام ولا في أمره فَنَدُ[٤]

باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين، فمن ذلك: أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم؛ فقال له رجل: جُعلت فداءك تصف جابراً بالعلم وأنت أنت فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]. وقال مجاهد: أحَبّ الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل. وقال الحسن: والله ما أنزل الله آية إلا أحبّ أن يعلم فيما أنزلت وما يعني بها. وقال الشعبيّ: رَحَل مسروق إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسّرها رحل إلى الشام؛ فتجهّز ورَحَل إلى الشام حتى علم تفسيرها. وقال عكرمة في قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠]: طَلَبتُ اسم هذا الرجل [الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله] أربع عشرة سنة حتى وجدته[٥]. وقال ابن عبد البر: هو ضمرة بن حبيب، وسيأتي. وقال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللَّتَيْن تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ما يمنعني إلا

---

(١) هو أمية بن أبي الصلت: عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن غرة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان، ويقال: أبو الحكم الثقفي، شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام، قيل: إنه كان مستقيمًا، وإنه كان في أول أمره على الإيمان ثم زاغ وإنه هو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وفي حديث البخاري (٦١٤٧) في الأدب، ومسلم (٢٥٥/ ٣) في الطهارة من رواية أبي هريرة أنه ﷺ قال: «... وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم» وقد هلك سنة (٩هـ) بالطائف. البداية والنهاية (٢/ ٦١٤)..

(٢) البيت في اللسان (٤/ ٣٨٣).

(٣) هو زُهير بن أبي سُلمى بن رباح، وكان صاحب مدائح عدة، وسمي بصاحب الحوليات وقد هلك قبل البعثة بسنتين.

(٤) فند: ضعف وخرف وإنكار عقل من الهرم، وقيل: خطأ في الرأي والقول. اللسان «فند».
قلت: وفي البيت ثناء على الله تعالى بأنه لا ينام سبحانه ولا يغفل قطُّ، وليس فيما قضاه وقدّره خطأ على الإطلاق.

(٥) انظر: الاستيعاب (٢/ ٧٥٠)، و(٤/ ١٦٩٤) وقال فيه أيضًا: «ضمرة بن حبيب، وضميرة بن جندب، وضميرة بن أنس، وضمرة بن العيص»، وفي الاستيعاب (٢/ ١٥) أيضًا هو: «خالد بن حزام».

مهابته. فسألته فقال: هي حفصة وعائشة[١]. وقال إياس بن معاوية: مَثَلُ الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كَمَثَل قوم جاءهم كتـاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم رَوْعة ولا يدرون ما في الكتـاب؛ ومَثَل الذي يعـرف التفسـير كَمـثل رجل جاءهم بمصـباح فقـرؤوا ما في الكتاب.

باب ما جاء

في حامل القرآن ومن هو، وفيمن عاداه

قال أبو عـمر: روي من وجوه فـيهـا لِين عن النبيّ ﷺ أنه قال: «من تعظيم جـلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المُقْسط، وذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغـالي فيه ولا الجافي عنه[٢]». وقال أبو عمر: وحـملة القرآن هم العالمون بأحكامـه، وحلاله وحرامه، والعاملـون بما فيه. وروى أنس أن النبيّ ﷺ قال: «القرآن أفضـل من كل شيء، فمن وَقّر القرآن فقد وقّر الله، ومـن استخف بالقرآن استخف بحق الله تعالى حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله، الملبسون نور الله، فمَن وَالاهم فقد والَى الله، ومن عاداهم فقد استخفّ بحق الله تعالى»[٣].

باب ما يلزم قارئ القرآن

وحامله من تعظيم القرآن وحرمته

قال الترمذيّ الحكيم أبو عبد اللّه في «نوادر الأصول»: فمن حُرمة القرآن: ألا يمسّه إلا طاهراً. ومن حرمته أن يقرأه وهو على طهارة. ومن حرمته أن يستاك ويتخلل فيطيب فاه، إذ هو طريقه. قال يزيد بن أبي مـالك: إن أفواهكم طُرُقٌ من طرق القـرآن، فطهّروها ونظّفـوها ما استـطعتم[٤]. ومن حرمـته أن يتلبس [٥] كمـا يتلبس للدخول على الأمير لأنه مناج. ومن حرمتـه: أن يستقـبل القبلة لقراءته. وكان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل القبلة. ومن حرمته: أن يتمضمض كلما تنخع. روى شعبة عن أبي حمـزة عن ابن عباس: أنه كان يكون بين يديه تَوْر[٦] إذا تنخع مضمض، ثم أخذ في الذكر، وكان كلما تنخع مضـمض. ومن حرمته: إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة لأنه إذا قرأ فهو مخـاطب ربه ومناج، والتثاؤب من الشيطان[٧]. قال مجاهد: إذا تثـاءبت وأنت تقرأ القرآن فامـسك عن القرآن تعظيـماً حـتى يذهب تثاؤبك. وقالـه عكرمة ـ يريد أن في ذلك الفـعل إجلالاً

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٩١٣) في التفسير، ومسلم (١٧٩/ ٣١ ـ ٣٣) في الطلاق.

(٢) حسن بـنحوه: أبو داود (٤٨٤٣) في الأدب، وحسـنه الألباني في صـحيح الجامع (٢١٩٥) عن أبـي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) ضعيف: نوادر الأصول (٣/ ٢٦٠) مرسلاً، وحسنه السـيوطي (٢٦٠/ ١١٤٦٢) في الجامع الكبير، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح مرفوع: الألباني (٣٩٣٩) في صحيح الجامع عن سمرة رضي الله عنه.

(٥) يتلبس: يلبس. اللسان «لبس».

(٦) تور: إناء يشرب فيه. مختار الصحاح (ص ٨٠).

(٧) وفيه حديث «العطاس من الله، والتثاؤب من الشيطان» كما في صحيح الجامع (٤١٣٠) بسند حسن.

للقرآن. ومن حـرمتـه أن يستعـيذ بالله عند ابتـدائه للقراءة من الشيطان الرجيم، ويقـرأ بسم الله الرحمن الـرحيم إن كان ابتـدأ قراءته من أوّل السـورة أو من حيث بلغ. ومن حـرمتـه: إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة. ومن حرمته: أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه؛ لأنه إذا فـعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذي استعاذ في البدء. ومن حرمـته أن يقرأه على تُؤَدة وترسيل وترتـيل. ومن حرمته: أن يستـعمل فيه ذهنه وفـهمه حتى يعقل ما يخاطب به. ومن حرمتـه: أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى اللـه تعالى ويسألـه من فضلـه، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير باللـه منه. ومن حـرمته: أن يقف على أمثالـه فيمتثلـها. ومن حرمته: أن يلتمس غرائبه. ومن حرمـته : أن يؤدّي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، فإن لـه بكل حـرف عشر حسنات[١]. ومن حرمته: إذا انتـهت قراءته أن يصدّق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسولـه ﷺ، ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقتَ ربّنا وبلّغت رسلك، ونحن على ذلك من الشاهدين؛ اللـهم اجـعلنا من شهداء الحق، القائمين بالقـسط؛ ثم يدعو بدعوات[٢]. ومن حرمته: إذا قـرأه ألا يلتقط الآي من كل سورة فيقـرأها؛ فإنه روي لنا عن رسول اللـه ﷺ: أنه مر ببلال وهو يقـرأ من كل سورة شيئـاً؛ فأمره أن يقرأ السـورة كلـها أو كما قال علـيه السلام. ومن حرمته: إذا وضع المصـحف ألا يتركه منشوراً، وألا يضع فوقه شيئـاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب، عِلماً كـان أو غيره. ومن حرمته: أن يضعه فـي حَجْرِه إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض. ومن حرمته: ألاَّ يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسلـه بالماء. ومن حرمته: إذا غسلـه بالماء أن يتوقّى النجاسات من المواضع، والمواقع التي تُوطأ، فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته. ومن حـرمته: ألا يتخذ الصحـيفة إذا بليت ودرست[٣] وقاية للكتب؛ فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء. ومن حرمتُه : ألا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مـرّة؛ وكان أبو موسى يقـول: إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهـد ربي مرّة. ومن حـرمتـه : أن يعطي عـينيه حـظهمـا منه، فـإن العين تؤدّي إلى النفس، وبين النفس والصّـدر حجاب، والقرآن في الصدر؛ فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنما يسمع أذنه فتؤدّي إلى النفس، فإذا نظر في الخط كـانت العين والأذن قد اشـتركـتا في الأداء وذلك أوفـر للأداء؛ وكان قـد أخذت العين حظـها كالأذن. روى زيد بن أسلم عن عطاء بـن يَسار عن أبي سعيـد الخُدْرِيّ قال: قـال رسول اللـه ﷺ: «أعطوا أعـينكم حظّها من العـبادة» قـالوا: يا رسول اللـه ومـا حظها من العـبادة؟ قـال: «النظر في المصحف والتفكر فـيه والاعتبار عند عـجائبه»[٤]. وروى مكحول عن عُبادة بـن الصامت قال: قال رسول اللـه ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً»[٥]. ومن حرمته: ألا يتأولـه عندما يعرض لـه

(١) في هذا حديث صحيح وقد سبق .

(٢) أما الدعاء فهو عن أنس رضي الله عنه وعن قتادة كما في التبيان (ص ٦٩) للنووي ـ بتحقيقي .

(٣) درست : أُفْهِمَت. اللسان «درس» .

(٤) موضوع : انظر: ضعيف الجامع (٩٤٢) للألباني ـ رحمه الله .

(٥) ضعيف : انظر: ضعيف الجامع (١٠٤٧، ١٠٤٨) للألباني ـ رحمه الله.

شيء من أمر الدنيا: حدّثنا عمرو بن زياد الحنظليّ قال: حـدّثنا هُشيم بن بشير عن المغيرة عن إبراهيم قال: كان يكره أن يتأوّل شيء من القرآن عند ما يعـرض لـه شيء من أمر الدنيا، والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠] ومثل قولـه تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] هذا عند حضور الطعام وأشباه هذا. ومن حرمته؟ ألا يقال: سورة كذا؛ كقولك: سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء، ولكن يقال: السورة التي يُذكر فيها كذا.

قلت: هذا يعارضه قوله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة مـن قرأ بهما في ليلة كفتَاه» خرّجه البخاريّ ومـسلم من حديث عبد الله بن مـسعود [١] ومن حرمته: ألا يُتْلَى منكوسـاً كفعل معلمي الصبيان، يلتمس أحدهم بذلك أن يُرِيَ الحذق من نفسه والمهارة، فإن تلك مخالفة، ومن حرمته: ألا يُقَعِّر في قراءته كفعل هؤلاء الهمزيين المبتدعين المتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المتتنة تكلُّفاً، فإن ذلك محـدَث ألقاه إليهم الشيطان فقـبلوه عنه. ومن حرمته: ألا يقرأه بـألحان الغناء كلحون أهل الفسق، ولا بتـرجيع النصارى ولا نوح الرهبـانية، فإن ذلك كله زيغ وقـد تقدّم. ومن حرمـته: أن يُجلّل تخطيطه إذا خطه. وعن أبي حُكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمرّ عليّ رضي الله عنه فنظر إلى كتابته فقال له: أجِلّ قلمك؛ فأخذت القلم فقططته[٢] من طرفه قطًّا، ثم كتبت وعليّ رضي الله عنه قائم ينظر إلى كتـابتي؛ فقال: هكذا، نَوِّرْه كما نوره الله عزّ وجلّ. ومن حرمـته: ألا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة. ومن حرمته: ألاّ يُمارى ولا يجادل في القراءآت، ولا يقول لصـاحبه: ليس هكذا هو، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جـائزة من القرآن؛ فيكون قد جحد كتاب الله. ومن حـرمته: ألاّ يقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغط واللّغو ومجمع السفهاء؛ ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مَرُّوا باللغو مرّوا كراماً، هذا لمروره بنفسه، فكيف إذا مرّ بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو وجمع السفهاء. ومن حرمته: ألاّ يتوسـد المصحف ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله. ومن حـرمتـه: ألا يصغر المصـحف؛ روى الأعمش عـن إبراهيم عن علي رضي الله عنه قال: لا يصغّر المصحف.

قلت: وروي عن عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه أنه رأى مـصحفاً صغيـراً في يد رجل فقال: من كتبـه؟ قال: أنا؛ فضربه بالدِّرة، وقال: عظّمـوا القرآن. وروي عن رسول اللـه ﷺ: أنه نهى أن يقال: مُسَيْجد أو مُصَيْحف. ومن حرمـته ألا يخلط فيه ما ليس منه. ومن حرمته: ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا؛ وروى مـغيرة عن إبراهيم: أنه كان يكره أن يحلّى المصحف أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رؤوس الآي أو يصغّر. وعن أبي الـدرداء قال: قال رسول اللـه ﷺ: «إذا زخرفتم مساجدكم وحلّيـتم مصاحفكم فالدبار [٣] عليكم»[٤]. وقال ابن عباس وقد رأى مصحفاً

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٠٠٨، ٥٠٠٩) في فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٧) في صلاة المسافرين وقصرها، عن أبي مسعود رضي الله عنه لا عن عبد الله بن مسعود.

(٢) قططته: قطَّ الشيء، أي: قطعه عرضًا وبابه (ردّ) على وزن (فعل) ومنه قط القلم. مختار الصحاح (ص ٥٤٢).

(٣) حسن: حسنه الألباني (٥٨٥) في صحيح الجامع وفيه (الدمار) بدلاً من (الدبار) والدبار: الهلاك.

(٤) ذكره المتقي الهندي (٢٨٧٥) في الكنز، وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

زيِّن بفضة: تُغرون به السارق وزينته في جوفه. ومن حرمته: ألا يكتب على الأرض، ولا على حائط كما يفعل به في المساجد المحدثة. حدّثنا محـمد بن علي الشقيقيّ عن أبيه عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن محمد بن الزبير قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يحدّث قال: مرّ رسول الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشاب من هُذَيل: «ما هذا؟» قال: من كتاب اللـه كتبه يهوديّ؛ فقال: «لعن اللـه من فعل هذا ،لا تضعوا كتاب اللـه إلا موضعه». قال مـحمد بن الزبير: رأى عمر بن عبد العزيز ابناً لـه يكتب القرآن على حائط فضربه. ومن حرمته : أنه إذا اغتسل بكتابته مستشفياً من سقَم ألا يصبّه على كُنَاسة، ولا في مـوضع نجاسـة، ولا على موضع يُوطأ، ولكن ناحـية من الأرض في بُقـعة لا يطؤه الناس، أو يحفر حفيرة في موضع طاهر حتى ينصب من جـسده في تلك الحفيرة ثم يكبسها، أو في نهر كبير يختلط بمائه فيـجري. ومن حرمته أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كـهيئة المهجور. كان رسول اللـه ﷺ إذا ختم يقـرأ من أوّل القرآن قدر خمس آيات؛ لئلا يكون في هيـئة المهجور. وروى ابن عباس قال :جاء رجل فقال: يا رسول اللـه، أيّ العمل أفضل؟ قال: «عليك بالحالّ المرتحل» قال: وما الحالّ المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب من أوّلـه حتى يبلغ آخره ، ثم يضرب في أوّلـه كلما حلّ ارتحل»[١].

قلت: ويستحب لـه إذا ختم القرآن أن يجمع أهلـه. ذكر أبو بكر الأنباري: أنبأنا إدريس، حدّثنا خلف، حدّثنا وكيع عن مسْعَر عن قتادة: أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهلـه ودعا[٢]. وأخبرنا إدريس :حدّثنا خـلـف ،حدثنا جرير عن منصور عن الحكم قال: كانَ مـجاهد وعَبْدة بن أبي لُبَابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختمـوا وجّهوا إلينا: أحضرونا، فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن[٣]. وأخبـرنا إدريس حدّثنا خلف حدّثنا هشـيم عن العوّام عن إبراهيم التّيـمي قال: من ختم القـرآن أوّل النهار ؛صلّت عليه الملائكة حـتى يُمسي، ومن ختم أوّل الليـل صلّت عليه الملائكة حتى يُصبح» قال: فكانوا يسـتحبّـون أن يختمـوا أوّلَ الليل وأوّلَ النهار[٤]. ومن حرمـته ألا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به في الخلاء، إلا أن يكون في غلاف من أدَم أو فضة أو غيره؛ فيكون كأنه في صدرك. ومن حرمتـه : إذا كتبه وشربه سَمَّى اللـه على كل نَفَس، وعَظَّم النية فـيه ، فإن اللـه يؤتيه على قدر نيّته. روى لَيْث عن مجاهد قـال: لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض[٥]. وعن أبي جعفر قال: من وجد في قلبه قساوةً فليكتب «يس» في جام بزعفران ثم يشربه[٦].

قلت: ومن حرمته: ألاّ يقال: سورة صغيرة. وكَره أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة أو كبيرة؛ وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغر منها؛ وأما القرآن فكله عظيم؛ ذكره مكيّ[٧] رحمه الله.

(١) ضعيف : الترمذي (٢٩٤٨) في القراءات ، وضعفه الألباني هناك .

(٢، ٣) صححهما النووي في التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٩) بتحقيقي .

(٤) هذا ما لا سند له ، ثم فيه العوام وهو مختلف في توثيقه .

(٥) ضعيف : فيه ليث بن أبي سليم وهو مختلط جداً .

(٦) ولا سند لمثل هذا

(٧) هو مكي بن أبي طالب بن محـمد القيسي، كان فقـهيًا من القراء وكان من الراسـخين في علوم القرآن ، وصنف تصانيف كثيرة في ذلك منها: التبصرة والهداية في التفسير (ت ٤٠٧هـ) .

قلت: وقد روى أبو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنه قال: ما مِن المفصّل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله ﷺ يؤمّ بها الناس في الصلاة(١).

باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي، والجرأة على ذلك، ومراتب المفسرين

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من كتاب الله إلا آياً بعدد، علّمه إياهنّ جبريل. قال ابن عطية: ومعنى هذا الحديث في مُغيّبات القرآن، وتفسير مجمله ونحو هذا، مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى؛ ومن جملة مغيّباته ما لم يُعْلم الله به، كوقت قيام الساعة ونحوها مما يستقري من ألفاظه، كعدد النَّفَخات في الصُّور، وكرتبة خلق السموات والأرض.

روى الترمذيّ عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: «اتّقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم؛ فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»(٢). وروي أيضاً عن جُنْدب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»(٣). قال: هذا حديث غريب. وأخرجه أبو داود، وتُكُلِّم في أحد رواته. زاد رَزِين: ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر.

قال أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباريّ النحوي اللغوي في كتاب «الردّ»: فُسِّر حديث ابن عباس تفسيرين: أحدهما: قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرّض لسخط الله. والجواب الآخر وهو أثبت القولين وأصحهما معنًى: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار. ومعنى يتبوأ: ينزل ويحل؛ قال الشاعر:

وبُوِّئَتْ في صَميم مَعْشرِها ... فتَمّ في قَوْمِها مُبَوَّؤها(٤)

وقال في حديث جُنْدب(٥): فحمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معنيّ به الهوى؛ من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه. وقال ابن عطية(٦): ومعنى هذا: أن يسأل الرجل عن معنًى في كتاب الله عز وجل فيتسوّر(٧) عليه برأيه دون نظر فيما

---

(١) ضعيف: أبو داود (٨١٤) في الصلاة، وضعفه الألباني هناك.

(٢) ضعيف: الترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١) في التفسير، وضعفه الألباني هناك.

(٣، ٥) ضعيف: الترمذي (٢٩٥٢) في التفسير، وضعفه الألباني هناك.

(٤) قال صاحب اللسان (١/ ٣٩): أي نزلت من الكرم في صميم النسب.

(٦) هو الإمام القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية الغرناطي: مفسر، محدث، فقيه، أديب، وله التفسير الشهير المعروف بـ(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وقد أثنى عليه أبو حيان فقال: (هو أجل مَن صنّف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير)، وقد توفي (٥٤٦هـ). كشف الظنون (٢/ ١٦١٣) لحاجي خليفة.

(٧) يتسور: القصد هنا السطو على المعنى والتهجم بغير حق. اللسان «سور».

قال العلماء، واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول؛ وليس يدخل في هذا الحديث: أن يفسر اللغويون لغته، والنحويون نحوه ،والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبنيّ على قوانين علمٍ ونظر؛ فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرّد رأيه.

قلت: هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإن من قال فيه بما سنح في وَهْمه، وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناه فهو ممدوح.

وقال بعض العلماء: إن التفسير موقوف على السماع؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا فاسد؛ لأن النهي عن تفسير القرآن لا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمراً آخر. وباطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم قد قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبيّ ﷺ؛ فإن النبيّ ﷺ دعا لابن عباس وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهه في الدِّينِ وعَلِّمه التأويل»(١). فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وهذا بيّن لا إشكال فيه؛ وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «النساء» إن شاء الله تعالى. وإنما النهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه؛ فيتأوّل القرآن على وَفْق رأيه وهواه، ليحتجّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى. وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده أن يُلَبِّس(٢) على خصمه؛ وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة؛ فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه، أي :رأيه حَمَله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه، ويومئ إلى أنه المراد بفرعون؛ وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع، وهو ممنوع ؛لأنه قياس في اللغة، وذلك غير جائز. وقد تستعمله الباطنية (٣) في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم

---

(١) متفق عليه : الشطر الأول منه دون الدعاء بالتأويل في صحيح البخاري (١٤٣) في الوضوء ، ومسلم (٢٤٧٧/ ١٣٨) في فضائل الصحابة .

وهو كله عند أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤) ،وابن ماجه (١٦٦) في المقدمة، والحاكم (٣/ ٦١٥) في المستدرك، وصححه الألباني (٣٩٥) في الروض النضير .

(٢) يلبس : أي : يدلس ويخلط . مختار الصحاح (ص ٥٩٠) .

(٣) الباطنية : هم فريق من غلاة الشيعة ، نشأ مذهبهم في القرن الثالث الهجري ، وضعه قوم أشربوا في قلوبهم بغض الدين ، وكراهية النبي ﷺ من الفلاسفة والملاحدة ، والمجوس واليهود ، ليصرفوا الناس عن دين الله ، ومن دعاتهم ميمون بن ديصان القداح ، وظاهر مذهبهم فروع الشريعة ، ولكن عقيدتهم عقيدة الفلاسفة=

الباطلة، فينزّلون القرآن ـ على وَفْق رأيهم ومذهبهم ـ على أمورٍ يعلمون قطعاً أنها غير مرادة. فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير؛ فمن لم يحكِم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زُمْرة من فسر القرآن بالرأي؛ والنقلُ والسماع لا بُدّ له منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتّقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط. والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر؛ ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها؛ فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار؛ وأمثال هذا في القرآن كثير، وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرّق النهي إليه. والله أعلم.

قال ابن عطية: وكان جِلّةٌ من السلف الصالح كسعيد بن المسيّب وعامر الشعبيّ وغيرهما يعظّمون تفسير القرآن ويتوقّفون عنه تورّعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدّمهم. قال أبو بكر الأنباريّ: وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورّعون عن تفسير المُشْكِل من القرآن؛ فبعضٌ يقدّر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله عز وجل فيُحْجِم عن القول. وبعضٌ يُشْفِق من أن يجعل في التفسير إماماً يبني على مذهبه، ويقتفي طريقه. فلعلّ متأخّراً أن يفسر حرفاً برأيه ويخطئ فيه ويقول: إمامي في تفسير القرآن بالرأي فلان الإمام من السلف. وعن ابن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من القرآن فقال: أيّ سماء تُظِلّني، وأيّ أرض تُقِلّني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى.

قال ابن عطية: وكان جِلّةٌ من السلف كثير عددهم يفسّرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم؛ فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم، فعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد اللَّه بن عباس وهو تجرّد للأمر وكمّله، وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جُبير وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن عليّ. وقال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب. وكان عليّ رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويحضّ على الأخذ عنه، وكان ابن عباس يقول: نِعْم تَرْجُمان القرآن عبد اللَّه بن عباس[1]. وقال عنه عليّ رضي الله عنه:

=والملاحدة، مظاهر المذهب تشيع، وباطنه كفر محض، جعل ميمون الكافر لكل آية تفسيراً، ولكن حديث تأويلاً، وجعل السنن إرشادات، وأطلق لسانه في الطعن على الصحابة الكرام، وكان يخدم إسماعيل بن جعفر، وظفر أيام قرمط فسموا (القرامطة المباركية السبعية التعليمية الإباحية والملاحدة والزنادقة المزدكية) ولهم حيلٌ كثيرة، يزعمون أن القرآن كلام النبي ﷺ ويبيحون نكاح البنات والأخوات، ويسقطون العبادات، وكانوا شوكة في حلق المسلمين، وحين أذن الله بهلاكهم وبقي فكرهم يلتقطه كل أخرف مجذوب عاص لله ولرسوله ولدينه (عقائد آل حمد ص٣ ـ ٨٢)، والتبصير (ص٨٦).

(١) صحيح: الحاكم (٣/ ٦١٨) في المستدرك وصححه موقوفًا من كلام ابن مسعود رضي الله عنه وقد =

ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق [١]. ويتلوه عبد اللَّه بن مسعود وأُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص. وكل ما أخذ عن الصحابة فحَسَن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم. وعن عِامر بن وائلة قال: شهدت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يخطب فسمعته يقول في خطبته: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدّثتكم به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبِليل نزلتْ أم بنهار، أم في سهل نزلتْ أم في جبل؛ فقام إليه ابن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذَرْواً؟ وذكر الحديث [٢]. وعن المِنهال بن عمرو قال: قال عبد اللَّه بن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبْلُغه المطيُّ لأتيته؛ فقال له رجل: أما لقيت عليّ بن أبي طالب؟ فقال: بلى، قد لقيته. وعن مسروق قال: وجدت أصحاب محمد ﷺ مِثْل الإخاذ [٣] يُرْوِي الواحد والإخاذ يُرْوِي الاثنين، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصْدرهم، وإن عبد اللَّه بن مسعود من تلك الإخاذ. ذكر هذه المناقب أبو بكر الأنباريّ في كتاب الردّ، وقال: الإخاذ عند العرب: الموضع الذي يحبس الماء كالغدير. قال أبو بكر: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن خالد حدّثنا أحمد بن عبد اللَّه بن يونس حدّثنا سلام عن زيد العَمّي عن أبي الصدّيق الناجي عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم عليّ، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم لكتاب الله عزّ وجلّ أُبَيّ بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جَبَل، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح، وأبو هريرة وِعَاءٌ من العلم، وسَلْمانُ بَحْرٌ من علم لا يُدْرَك، وما أظَلّت الخضراء ولا أقَلّت الغبراء ـ أو قال: البطحاء ـ من ذي لهجة أصدق من أبي ذَرّ» [٤].

قال ابن عطية: ومن المبرّزين في التابعين: الحسن البصريّ، ومجاهد، وسعيد بن جُبير، وعلقمة. قرأ مجاهد على ابن عباس قراءةَ تَفَهّم ووقوف عند كل آية؛ ويتلوهم عكرمة والضحاك [٥] وإن كان لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ عن ابن جبير؛ وأما السُّدِّيّ [٦] فكان عامر الشَّعْبِيّ يطعن عليه وعلى أبي صالح [٧]؛ لأنه كان يراهما مقصِّرين في النظر.

=وجدته في بعض المطبوعة من كلام ابن عباس وهو خطأ فاحش.

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٤٦) وعزاه لصاحب المجالسة من طريق المدائن.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٣٣٨) لابن سعد، والاستيعاب (٣/ ١٠٧) لابن عبد البر، من طريق وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل.

(٣) حسن: ابن سعد (٢/ ٣٤٢) في طبقاته، وصفة الصفوة (١/ ٤٠٤) لابن الجوزي.
والمعنى: أن فيهم الصغير والكبير والعالم والأعلم. مختار الصحاح (ص ٤).

(٤) ضعيف بهذا السياق، وهو صحيح: الترمذي (٣٧٩٠) في المناقب، وصححه الألباني هناك بدون وجود زيد العمي فيه، وهو عند ابن ماجه (١٥٤) في المقدمة، كلاهما عن أنس بنحوه وليس فيه «وما أظلت...».

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي: تابعي جليل لكنه كثير الإرسال (ت ١٠٢هـ)، ولم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما أخذ عن سعيد بن جبير، وثقه أحمد وابن معين، وأبو زرعة، وابن حبان.

(٦) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدي صدوق يهم، وهو شيعي (ت ٢٧هـ) كما في قول خليفة، وما نقله القرطبي في سير أعلام النبلاء (ت ٢٦٥هـ).

(٧) هو أبو صالح باذام مولى أم هانئ، وقد اختلف في توثيقه، فضعفه النسائي وغيره، والأولى تضعيف حديثه، وانظر كلام القرطبي عند ابن عدي في الكامل (٢/ ٧٠).

قلت: وقال يحيى بن مَعين: الكلبيّ[١] ليس بشيء. وعن يحيى بن سعيد القَطّان[٢] عن سفيان قال: قال الكلبي قال أبو صالح: كل ما حدّثتك كذب. وقال حبيب بن أبي ثابت: كنا نسميه الدّرَوْغ زَنْ يعني أبا صالح مولى أم هانئ والدروغ زن: هو الكذاب بلغة الفُرْس. ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف، كما قال ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين». خرّجه أبو عمر وغيره. قال الخطيب أبو بكر أحمد بن عليّ البغدادي: وهذه شهادة من رسول الله ﷺ بأنهم أعلام الدِّين وأئمة المسلمين لحفظهم الشريعة من التحريف، والانتحال للباطل، وردّ تأويل الأبله الجاهل؛ وأنه يجب الرجوع إليهم، والمعوّل في أمر الدِّين عليهم، رضي الله عنهم.

قال ابن عطية: وألّف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضّل وعليّ بن أبي طلحة والبخاري وغيرهم. ثم إن محمد بن جرير رحمه الله جَمع على الناس أشتات التفسير، وقرّب البعيد منها وشفى في الإسناد. ومن المبرِّزين من المتأخرين: أبو إسحاق الزجاج وأبو عليّ الفارسيّ؛ وأما أبو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما. وعلى سَنَنهما، ومكيّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وأبو العباس المهدويّ متقن التأليف، وكلهم مجتهد مأجور رحمهم الله، ونَضّر وجوههم.

باب تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وفرض طاعته في غير آية من كتابه وقرنها بطاعته عز وجل، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد: أنه رأى مُحْرِمًا عليه ثيابه، فنهى المحرم فقال: ايتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال: فقرأ عليه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. وعن هشام بن حُجَير قال: كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر، فقال ابن عباس: اتركهما فقال: إنما نهى عنهما أن تُتّخذا

(١) هو محمد بن السائب بن بشير الكلبي: كذاب متهم بالرفض. التقريب (٤٧٩).

(٢) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي تابعي جليل (ت٩٨هـ).

قال الشيخ الألباني في المشكاة (١/ ٨٢، ٨٣): «الحديث مرسل؛ لأن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري هذا تابعي راوي الحديث مقل كما قال الذهبي، وروايته عن معاذ بن رفاعة ليست بعمدة، لكن الحديث قد روى موصولاً من طريق جماعة من الصحابة وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في (بغية الملتمس ص٣، ٤) وروى الخطيب البغدادي في شرف أهل الحديث (٣٥/ ٢) عن مهنا بن يحيى قال: سألت أحمد - يعني - ابن حنبل عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم هذا، فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع؟ فقال: لا وهو صحيح، فقلت له: ممن سمعته أنت؟ قال: من غير واحد. قلت: من هم؟ قال: حدثني به مسكين إلا أنه يقول: معاذ بن القاسم بن عبد الرحمن. قال أحمد: معاذ بن رفاعة: لا بأس به، وقد جمعت طائفة من طرق الحديث والنية متوجهة لتحقيق القول فيها لأول فرصة تسنح لنا إن شاء الله تعالى» انتهى.

قلت: ولعله حسن بهذه الطرق إن شاء الله.

سنة، فقال ابن عبـاس: قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر، فلا أدري أتُعَـذَّب عليهما أم تُؤجر، لأن الله تعـالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦](١) . وروى أبو داود عن المِقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإني قد أوتيت الـكتاب ومثله مـعه ،ألا يوشِك رجل شبعان علـى أريكته يقول: عليـكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ، ألاَ لا يحل لكم الحمار الأهليّ ، ولا كل ذي ناب من السبـاع ،ولا لقطة معاهد ،إلا أن يستـغني عنها صاحبـها ،ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقْرُوه(٢) ، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه»(٣) .

قال الخطابي(٤) : قوله: «أوتيت الكتاب ومثله معه» يحـتمل وجهين من التأويل: أحدهما : أن معناه: أنـه أوتي من الوحي الباطن غـير المتلوّ، مـثل ما أعطي من الظاهر المتلوّ. والثـاني: أنه أوتي الكتاب وَحْـياً يُتْلَى، وأوتي من البيان مـثله، أي: أذن له أن يبين ما في الكتاب فـيعم ويخص ويزيد عليه ويشـرع ما في الكتـاب؛ فيكون في وجـوب العمل به ولزوم قـبوله كالظاهر المتـلوّ من القرآن.

وقوله: «يوشك رجل شبعان» الحديث. يحذّر بهـذا القول من مخالفة السنن التي سنّها مما ليس له في القرآن ذكر على مـا ذهبت إليه الخوارج والروافض، فإنهم تعلقوا بظاهر القـرآن وتركوا السنن التي قد ضمنت بيـان الكتاب، قال: فتحـيروا وضلوا، قال: والأريكة: السرير، ويقـال: إنه لا يسمى أريكة حتى يكون في حَجَلَة(٥) ، قال: وإنما أراد بالأريكة أصحـاب الترفُّه والدَّعَة الذين لزمـوا البيوت ولم يطلبوا العلم من مَظانّه. وقوله: «إلا أن يستـغني عنها صاحبها؛ معناه أن يتركها صـاحبها لمن أخذها استغناء عنهـا؛ كقوله: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ [التغابن: ٦] معناه: تركهم اللـه استغناء عنهم.

وقوله: «فله أن يعقبهم بمثل قراه» هذا في حال المضطر الذي لا يجد طعاماً ويخاف التلف على نفسه، فله أن يأخذ من مالهم بقـدر قِراه عوض ما حَرَموه من قِـراه. و «يعقبهم» يروى مشدّداً ومـخففاً من المعاقـبة، ومنه قـوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦] أي: فكانت الغلبـة لكم فغنمـتم منهم، وكذلك لهذا أن يغنم من أموالهم بقدر قِراه. قال: وفي الحديث دلالة على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتـاب، فإنه مهمـا ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجـة بنفسه؛ قال: فـأما ما رواه بعضهم أنـه قال: «إذا جاءكم الحديث فأعـرضوه على كتاب الله، فـإن وافقه فخـذوه وإن لم يوافقه فردّوه»(٦) فإنه حديث باطل لا أصل له.

---

(١) حسن : البيهقي (٢/ ٤٥٣) في السنن الكبرى ، والحاكم (١/ ١١٠) في المستدرك ،وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) يقروه ويكرموه : والقرى : الإحسان إلى الضيف .اللسان «قرى» .

(٣) صـحيح : أبو داود (٤٦٠٤) في السنة بلفظـه ، والترمـذي (٢٦٦٤) في العلم ، وابن ماجـه (١٢) في المقدمـة بنحوه، وصححه الألباني في هذا المواضع جميعًا .

(٤) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب السبتى الخطابي (ت ٣٨٨هـ) .

(٥) الحجلة : كأنها قبة العروس وهي تتزين بالثياب والأسِرَّة والستور . اللسان «حجل» .

(٦) باطل : قال الشـافعي في الرسالة ص٢٣٥ :« إنما هي رواية منقـطعة عن رجل مجهـول»، وقال البيـهقي عن هذا الحديث: « رواه خالد بن أبي كريمة ، عن أبي جعفر ، عن رسـول الله ﷺ وخالد مجهول »، وأبو جعفر ليس بصحابي فالحديث منقطع ، وقاله السيوطي (ص ١٥ في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، وقال ابن حزم (٢/ ٧٦ في الأحكام) عن الحسن بن عبد الله أحد رواة هذا الحديث :« ساقط متهم بالزندقة » فالحديث باطل .

ثم البيان منه ﷺ على ضربين: بيـان لمجملٍ في الكتاب، كبيانه للصلوات الخمس في مـواقيتها وسجودها وركوعـها وسائر أحكامها، وكبـيانه لمقدار الزكاة ووقتها ومـا الذي تؤخذ منه من الأموال، وبيـانه لمناسك الحج؛ قـال ﷺ إذ حج بالنـاس: «خذوا عنـي مناسككم»(١). وقـال: «صلُّوا كمـا رأيتموني أصلّي»(٢). أخرجه البخاري. وروى ابن المبـارك عن عمران بن حُصين أنه قال لرجل: إنك رجل أحمق، أتجد الظُّهْر في كتاب الله أربعاً لا يُجهر فيها بالقراءة ثم عدّد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسرا إن كتاب الله تعالى أبهم هذا، وإن السُّنة تفسّر هذا(٣).

وروى الأوزاعيّ عن حسـان بن عطيـة قال: كـان الوحي ينزل على رسـول الله ﷺ ويحضـره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك(٤). وروى سعيد بن منصور: حدّثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعيّ عن مكحول قال: القـرآن أحوج إلى السُّنة من السنة إلى القرآن(٥). وبه عن الأوزاعيّ قال قال يحيى بن أبي كثـير: السنة قـاضية على الكـتاب، وليس الكتاب بقـاضٍ على السنة(٦). قال الفضل بن زياد: سمـعت أبا عبد اللَّه يعني أحـمد بن حنبل وسئـل عن هذا الحديث الذي روي أن السُّنة قاضـية على الكتاب فقال: ما أجْسُر على هذا أن أقوله، ولكني أقول: إن السنة تفسّر الكتاب وتبينه(٧).

وبيان آخر وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمـتها وخالتها، وتحريم الحُمُر الأهلية ، وكل ذي ناب من السـباع، والقضاء باليـمين مع الشاهد وغير ذلك، على مـا يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

باب كيفية التعلّم والفقه لكتاب الله تعالى، وسنة نبيّه ﷺ وما جاء أنه سُهّل على من تقدّم العمل به دون حفظه

ذكر أبو عمرو الدّاني(٨) في كتاب « البيان» له بإسناده عن عثـمان وابن مسعود وأُبَيّ: أن رسول الله ﷺ كان يُقرئهم العشر فـلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيـها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً. وذكر عبد الرزاق عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلميّ قال: كنا إذا تعلمنا عـشر آيات من القرآن لم نتعلّم الـعشر التي بعدها حـتى نعرف حلالها وحـرامها

(١) صحيح : مسلم (١٢٩٧) في الحج، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
(٢) متفق عليه : البخاري (٦٣١) في الأذان ، ومسلم (٦٧٤/ ٢٩٢، ٢٩٣) في المساجد ومواضع الصلاة .
(٣) رواه الحاكم (١/ ١٠٩، ١١٠) ، والخـطيب (ص ٣٨) في الكفاية بنحـوه، وسنده حسن ، ورواه الآجـرى بلفظه (١٠٤) في الشريعة، لكن بسند ضعيف .
(٤) صحيح: الخطيب (١/ ١٥) في الكفاية .
(٥) صحيح : السيوطي (١٦٩) في مفتاح الجنة، والخطيب (٣٥) في الكفاية .
(٦) صحيح : الهروي (ق ٣٠/ ١) عن سعيد بن منصور صحيحًا ، والدارمي (٥٩٣) بسند حسن .
(٧) صحيح مقطوع : الكفاية (١/ ١٥) للخطيب البغدادي .
(٨) هو أبو عمرو: عثمان بن سعيد الأموي الـقرطبي المعروف بـ (أبي عمرو الداني) من أئمة القراءات والقرآن وروايته وتفسيره وإعـرابه ، واشتهر بـ (ابن الصيرفي) وله كـتاب «جامع البيان في القراءات الـسبع » وغيره توفي سنة ٤٤٤هـ) .

وأمرها ونهيها [١]. وفي موطأ مالك: أنه بلغه أن عبد اللَّه بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلّمها[٢]. وذكر أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الحافظ في كتابه المسمى «أسماء من روى عن مالك»: عن مرداس بن محمد أبي بلال الأشعري قال: حدّثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال: تعلّم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نَحَر جزوراً [٣]. وذكر أبو بكر الأنباري: حدّثني محمد بن شهريار، حدّثنا حسين بن الأسود، حدّثنا عبيد الله بن موسى عن زياد بن أبي مسلم أبي عمرو عن زياد بن مُخراق قال: قال عبد اللَّه بن مسعود: إنَّا صَعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسَهُل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به[٤].

حدّثنا إبراهيم بن موسى، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا الفضل بن دُكين، حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عمر قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن؛ وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يُرزقون العمل به. حدّثني حسن بن عبد الوهاب أبو محمد بن أبي العنبر حدّثنا أبو بكر بن حماد المقرئ قال: سمعت خلف بن هشام البزار يقول: ما أظن القرآن إلا عارية[٥] في أيدينا، وذلك إنَّا رَوَيْنا أن عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة، فلما حفظها نَحَر جزورا شكراً لله، وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يديّ فيقرأ ثلث القرآن لا يُسقط منه حرفاً، فما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا. وقال أهل العلم بالحديث: لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكَتْبه، دون معرفته وفهمه، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل، وليكن تحفّظه للحديث على التدريج قليلاً قليلاً مع الليالي والأيام. وممن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث شعبة وابن عُلَيّة ومَعْمر، قال معمر: سمعت الزُّهري يقول: من طلب العلم جُمْلَةً فاته جملة، وإنما يدرك العلم حديثاً وحديثين، والله أعلم. وقال معاذ بن جبل: اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا. وقال ابن عبد البر: وروى عن النبيّ ﷺ

---

(١) حسن: المصنف (٣/ ٣٨٠) (٦٠٢٧) لعبد الرزّاق، وفيه عطاء بن السائب قد اختلط بأخرة.

(٢) ضعيف: كذا رواه مالك بلاغًا (١/ ٢٠٥/ برقم ٤٧٩١)، وانظر: شعب الإيمان (٢/ ٣٣١) للبيهقي.

قلت: وقال ابن عثيمين ـ رحمه الله (ص ١١ في شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن) ـ ط دار الغد الجديد: (فعلى الناس أن يتلقوا معنى كلام الله كما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم كانوا إذا قرؤوا عشر آيات أو أقلّ أو أكثر لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ويحققوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل، فينزلونها على الأحوال الواقعة، ويؤمنون بما احتوت عليه العقائد والأخبار، وينقادون لأوامرها ونواهيها ويطبقونها على جميع ما يشهدون من الحوادث والوقائع الموجودة بهم وبغيرهم، ويحاسبون أنفسهم: هل هم قائمون أو مخلون بحقوقها ومطلوبها؟ وكيف الطريق إلى الثبات على هذه الأمور النافعة؟، وتدارك ما نقص منها... فمن سلك هذا الطريق الذي سلكوه وجدّ واجتهد في تدبر علوم الله، وانفتح له الباب الأعظم في التفسير، وقويت معرفته واستنارت بصيرته) انتهى.

(٣) صحيح: رواه البيهقي(٢/ ٣٣١) في شعب الإيمان.

(٤) منقطع: زياد بن مخراق البصري لم يسمع ابن مسعود رضي الله عنه كما في الكنى والأسماء (١/ ٢٣٤).

(٥) العارية: الشيء المستعار.

مثل قول معـاذ من رواية عبّاد بن عبد الصمـد، وفيه زيادة: أن العلماء همّتهم الـدراية، وأن السفهاء همّتهم الرواية[١]. وروي موقوفاً وهو أولى مـن رواية من رواه مرفوعاً [٢]؛ وعباد بن عبـد الصمد ليس ممن يُحتج به. ولقد أحسن القائل في نظمه في فضل العلم وشرف الكتاب العزيز والسُّنّة الغرّاء:

إنَّ العلومَ وإن جـلّت مـحـاسـنهـا ... فـتـاجُـها مـا به الإيمانُ قـد وَجَبَـا
هو الكتـابُ العـزيزُ اللّهُ يحـفظهُ ... وبعـدَ ذلك علْـم فـرّج الكُـرَبَا
فذاك فـاعلم حديث المصطفى فـيه ... نور النـبـوّة سنّ الشـرع والأدبا
وبعـد هـذا علومٌ لا انتـهـاء لهـا ... فـاختـر لنفسك يا من آثر الطلبـا
والعلـم كنز تجـده في مـعـادنه ... يا أيهـا الطالب ابحث وانظر الكتـبا
واتل بفـهم كـتـاب اللّه فـيـه أتت ... كلّ العـلوم تدبّره تر العـجـبـا
واقرأ هُديت حديث المصطفى وسَلَنْ ... مولاك ما تشتهي يقضي لك الأربا[٣]
من ذاق طعـمًا لعلم الدين سُـرّ به ... إذا تـزيدّ مـنـه قـال واطربـا

باب معنى قول النبيّ ﷺ

«إن هذا القرآن أنْزِل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تَيَسّر منه»

روى مسلم عن أبيّ بن كعـب: أن النبيّ ﷺ كان عند أضاة[٤] بني غِفَـار، فأتاه جبـريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتُك القرآن على حَرْف؛ فـقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تُطيق ذلك». ثم أتاه الثـانية، فقال: إن الله يأمـرك أن تقرأ أمتك القرآن على حـرفين فقال: «أسأل الله معـافاته ومغفرته وإن أمـتي لا تطيق ذلك». ثم جاءه الثالثة فقـال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف؛ فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك». ثم جاءه الرابعة فـقال: إن الله يأمرك أن تقـرأ أمتك القرآن على سـبعة أحـرف فأيّما حـرف قرؤوا عليه فـقد أصابوا[٥]. وروى الترمذيّ عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: «يا جبريل إني بُعثت إلى أمة

---

(١) قال الشيـخ ابن عثيمين ـ رحمـه الله : «فعلم الحديث رواية: يبـحث عمّا يُنقل عن النبي ﷺ من أقوالـه وأفعاله وأحواله ، ويبحث فيما يُنقل لا في النقل .
وعلم الحديث دراية فهو : علم يُبـحث فيه عن أحوال الراوي مقبول أم مردود ؟ أمّا المروي فـإنه يُبحث فيه هذا الحديث ما هو المقبول منه وما هو المردود» . شرح البيقونية (ص ١٠) مختصرًا .

(٢) وقال في البيقونية :

وما أضيف للنبي المرفوع ... وما لتابع هو المقطوع

قلت :وللصحابي الموقوف .
انظر: شرح البيقونية (ص ٥٠، ٥١) لابن عثيمين .

(٣) الأربا : الحاجة . اللسان «أرب» .

(٤) الأضاة : بفتح الهمـزة وبضاد معجمة مقصـورة: الماء المستنقع كالغدير، وجمعها (أضًى)، كـحصاة وحصًى . شرح النووي على مسلم (٣/ ٣٢٩) .

(٥) صحيح : مسلم (٨٢١/ ٢٧٤) في صلاة المسافرين وقصرها .

أمّية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتاباً قَطُّ فقال لي: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». قال هذا: حديث صحيح[١]. وثبت في الأمهات: البخاري ومسلم والموطأ وأبي داود والنسائي وغيرها من المصنَّفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم، وسيأتي بكماله في آخر الباب مبيناً إن شاء الله تعالى.

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد ابن حِبّان البُسْتيّ، نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال:

الأوّل: وهو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عُيَيْنة وعبد اللَّه بن وهب والطبري والطحاوي وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو أقْبِل وتعال وهَلُمّ. قال الطحاوي[٢]: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال اقرأ على حرف؛ فقال ميكائيل: استزده؛ فقال: اقرأ على حرفين؛ فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ إلى سبعة أحرف؛ فقال: اقرأ فكُلٌّ شافٍ كافٍ إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة[٣]؛ على نحو هَلُمَّ وتعالَ وأقبِل واذهب وأسرع وعَجِّل. وروى ورقاء عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبَيّ بن كعب أنه كان يقرأ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: «للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخّرونا، للذين آمنوا ارقبونا». وبهذا الإسناد عن أُبَيّ أنه كان يقرأ ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: «مَرّوا فيه، سَعَوْا فيه»[٤]. وفي البخاريّ ومسلم: قال الزهري: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام[٥].

قال الطحاوي: إنما كانت السَّعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أُمِّيين لا يكتب إلا القليل منهم؛ فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحوّل إلى غيرها من اللغات؛ ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوُسِّع لهم في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفُّظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد[٦].

روى أبو داود عن أُبَيّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أُبَيّ إني أُقرئت القرآن فقيل لي: على

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٩٤٤) في القراءات، وصححه الألباني

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي أبو جعفر، كان شافعيًا ثم تحول إلى المذهب الحنفي، صاحب المزني: إذ كان شافعيًا وهو من مشاهير الشراح للعقائد (ت ٣٢١هـ).

(٣) حسن بشواهده: أحمد (٥/ ٤١) في المسند، وفيه علي بن زيد بن جدعان صاحب مناكير، ويشهد له الحديث قبل السابق.

(٤) صحيح الإسناد: ابن عبد البر (٨/ ٢٩١) في التمهيد.

قلت: وهي قراءة تفسيرية. ط وزارة الأوقاف ـ المغرب. لا تتعدى ذلك.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٩٩٠) في فضائل القرآن، ومسلم (٨١٩)، و(٨١٩/ ٢٧٢) في صلاة المسافرين.

(٦) التمهيد (٨/ ٢٩١، ٢٩٢) لابن عبد البر ـ رحمه الله.

حرف أو حرفين فقال المَلَك الذي معي قل على حرفين فقيل لي على حرفين أو ثلاثة فقال المَلَك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب»[١]. وأسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة. ؛عن النبيّ ﷺ، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه. قال القاضي ابن الطيب[٢]: وإذا ثبتت هذه الرواية يريد حديث أُبَيّ حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نُسخ، فلا يجوز للناس أن يبدّلوا اسما لله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف.

القول الثاني: قال قوم: هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها؛ يَمَنها ونزارها؛ لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئاً منها، وكان قد أوتي جوامع الكَلِم؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هُذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن. قال الخطابي: على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، وهو قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقوله: وقوله: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢] وذكر وجوها، كأنه يذهب إلى أن بعضه أنزل على سبعة أحرف لا كله. وإلى هذا القول بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، على سبع لغات ذهب أبو عبيد القاسم بن سلاّم واختاره ابن عطية. قال أبو عبيد: وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذكر حديث ابن شهاب عن أنس أن عثمان قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلغتهم. ذكره البخاري[٣]، وذكر حديث ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكَعْبَيْن: كعب قريش، وكعب خُزاعة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة[٤]. قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

قال القاضي ابن الطيب رضي الله عنه: معنى قول عثمان: فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه وأكثره، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] ولم يقل: قرشيًا، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأحد أن يقول: إنه أراد قريشاً من العرب دون غيرها، كما أنه ليس له أن يقول: أراد لغة عَدْنان دون قَحْطان، أو ربيعة دون مُضَر؛ لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحداً.

وقال ابن عبد البر: قول من قال: إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب ؛والله أعلم؛ لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهمز. وقال ابن عطية[٥]: معنى قول النبيّ ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي: فيه عبارة سبع

(١) صحيح : أبو داود (١٤٧٧) في الصلاة ، وصححه الألباني هناك .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) .كان قاضيًا أصوليًا فقهيًا ، صاحب ردود على المخالفين لمذهب أهل السنة .

(٣) صحيح : البخاري (٤٩٨٧) في فضائل القرآن .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر (٩/ ٢٧) في فتح الباري .

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٤٤) لابن عطية.

قبائل بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبرّ عن المعنى فيه مَرّة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هُذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظ، ألا ترى أن «فطر» معناه عند غير قريش: ابتدأ [خلق الشيء وعمله] فجاءت في القرآن فلم تَتّجه لابن عباس؛ حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها؛ قال ابن عباس: ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ١][(١)]. وقال أيضاً: ما كنت أدري معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعت بنت ذي يَزَن تقول لزوجها: تعالَ أفاتحْكَ؛ أي: أحاكمك. وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أي: على تنقص لهم. وكذلك اتفق لقطبة بن مالك إذ سمع النبيّ ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠] ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر[(٢)] إلى غير ذلك من الأمثلة.

القول الثالث: أن هذه اللغات السبع إنما تكون في مُضَر؛ قاله قوم، واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلغة مُضَر، جائز أن يكون منها لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهُذَيل، ومنها لتَيْم، ومنها لضبّة، ومنها لقَيْس، قالوا: هذه قبائل مُضَر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب؛ وقد كان ابن مسعود يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر. وأنكر آخرون أن تكون كلها من مضر، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها، مثل كَشْكَشة قَيْس وتَمْتَمة تميم؛ فأما كشكشة قيس فإنهم يجعلون كاف المؤنث شينا، فيقولون في ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]: جعل رَبُّشِ تحتشِ سريًا؛ وأما تمتمة تميم فيقولون في الناس: النات، وفي أكياس: أكيات. قالوا: وهذه لغات يرغب عن القرآن بها، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء.

وقال آخرون: أما إبدال الهمزة عينا[(٣)] وإبدال حروف الحَلْق بعضها من بعض، فمشهور عن الفصحاء، وقد قرأ به الجِلّة، واحتجوا بقراءة ابن مسعود: « لَيَسْجُنُنَّه عتى حين؛ ذكرها أبو داود؛ وبقول ذي الرُّمَّة [(٤)]:

فعيناكِ عيناها وجيدُك جيدُها ولَوْنُك إلا عَنّها غيرُ طائلِ

يريد إلا أنها.

القول الرابع: ما حكاه صاحب الدلائل عن بعض العلماء، وحكى نحوه القاضي ابن الطيب قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعاً: منها ما تتغيّر حركته، ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] وأطْهَرَ، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ [الشعراء: ١٣] ويضيق. ومنها ما لا تتغير صورته ويتغيّر معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] وباعد. ومنها ما تبقى صورته ويتغيّر معناه باختلاف الحروف، مثل قوله: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] وننشرها. ومنها ما تتغيّر صورته ويبقى معناه: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وكالصوف المنفوش. ومنها ما تتغير

(١) صحيح: شعب الإيمان (٢/ ٢٥٨) للبيهقي.

(٢) صحيح: مسلم (٤٥٧/ ١٦٥ ـ ١٦٧) في الصلاة.

(٣) هذا يسمى (العنعنة) في اللغة ص ١٢٥ للدكتور إبراهيم الدسوقي.

(٤) هو الشاعر غيلان بن عقبة بن نهيس، من مضر، وله كقيس محبوبة هي (ميّة). وفيات الأعيان (١/ ٤٠٤).

صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] وطلع منضود. ومنها بالتقديم والتـأخير كقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] وجاءت سكرة الحق بالموت. ومـنها بالزيادة والنقصـان، مثل قوله: تسع وتسعون نعجة أنثى، وقوله: وأما الـغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين، وقوله: فإن الله من بعد إكراههنّ لهنّ غفور رحيم.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معـاني كتاب الله تعالى، وهي أَمْرٌ، ونَهْيٌ، ووعد، ووعيـد، وقَصَصٌ، ومجادلة، وأمـثال. قال ابن عطيـة: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحـرفاً، وأيضاً فالإجـماع على أن التوسعـة لم تقع في تحليل حلال، ولا في تغييـر شيء من المعاني. وذكر القاضي ابن الطـيب في هذا المعنى حديثاً عـن النبيّ ﷺ، ثم قال: ولكن ليسـت هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك. وقد قيل: إن المراد بقوله عليه السلام: «أنزل القرآن على سبـعة أحرف» القراءات السبع التي قرأ بها القرّاء السبعة؛ لأنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه على ما يأتي.

فصل: قال كثير من علمائنا كالدّاوُدي وابن أبي صُفْرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القـرّاء السبعـة، ليست هي الأحرف السـبعة التي اتسـعت الصحابة في القـراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد مـن تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمـان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره. وهذه القراءات المشـهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القـرّاء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيـما رَوى وعلِم وجهـه من القراءات مـا هو الأحسن عنده والأولى، فالتـزمه طريقـة ورواه وأقرأ به واشتـهر عنه، وعُرف به ونُسب إليه، فقـيل: حرف نافع، وحرف ابن كَـثِير؛ ولم يمـنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بـل سوّغه وجوّزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اخـتياران أو أكثر، وكلٌّ صحيح. وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصـار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات، فاسـتمرّ الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدّمون والفضلاء المحققون كالقاضي أبي بكر بن الطيب والطبري وغيـرهما. قال ابن عطية: ومضت الأعصـار والأمصار على قراءة السبعـة وبها يصلّى لأنها ثبتت بالإجمـاع؛ وأما شاذّ القراءات فلا يصلّى به لأنه لم يجـمع الناس عليه، أما أن المرويّ منه عن الصحـابة رضي الله عنهم وعن علماء التابـعين فلا يعتقـد فيه إلا أنهم رووه، وأمـا ما يؤثر عن أبي السَّمّـال ومن قارنه فـإنه لا يوثق به. قال غيـره: أما شـاذ القراءة[1] عن المصاحف المتـواترة فليست

---

(١) القراءة الشاذة: هي التي فقدت ركنًا من الأركان الثلاثة التي ذكرها ابن الجزري في قوله:

كل ما وافق وجـه نحـو ... وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصح إسنادا هو القـرآن ... فهـذه الثلاثـة الأركـان
وحيثما يختل ركن أثبت ... شـذوذه لو أنه في السبعـة

وقد اختلف العلماء في الاحتجاج بها على مذهبين:

المذهب الأول: أنها حجة ويجب العمل بهـا، وهو مذهب الحنفية، والراجح عند الحنابلة، ورواية عن مالك=

بقرآن، ولا يُعمل بـها على أنها منه، وأحسنُ محـاملها أن تكون بيانَ تأويل مذهب مـن نُسبت إليه؛ كقراءة ابن مسعود: « فصيام ثلاثة أيام متتـابعات». فأما لو صَرّح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ فاخـتلف العلماء فـي العمل بذلك على قـولين: النفي والإثبات: وجـه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل فـي معرض القرآن، ولم يثبت فلا يثبت. والوجه الثـاني أنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد.

فصل في ذكر معنى حديث عمر وهشام :

قال ابن عطية: أباح الله تعالى لنبيّه عليه السلام هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف[١]، ولم تقع الإباحة في قولـه عليه السلام: «فاقرؤوا ما تيسّر منه» بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدّل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلـها من تلقـاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان مـعرّضاً أن يبدّل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبيّ ﷺ ليوسّع بها على أمته، فأقرأ مَـرّة لأبيّ بما عارضه به جبريل، ومرّة لابن مسعـود بما عارضه به أيضاً، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لـسورة «الفرقان»، وقراءة هشام بن حكيم لـها، وإلا فـكيف يستقيم أن يقول النبيّ ﷺ في كل قراءة منهما وقـد اختلفا: «هكذا أقرأني جبريل»[٢] هل ذلك إلا أنه أقرأه مَرّة بهذه ومَـرّة بهذه؟، وعلى هذا يحمل قـول أنس حين قرأ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] فقيل لـه: إنما نقرأ ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾. فقال أنس: وأصْـوَب قِيلاً، وأقْوَم قِيـلاً وأهيأ، واحد؛ فإنما مـعنى هذا أنها مروية عن النبيّ ﷺ، وإلا فلو كـان هذا لأحد من الناس أن يضعـه لبطل معنى قولـه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. روى البخاريّ ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة «الفُرْقان» على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقْرأنيها، فكدت أن أعْـجَل عليه، ثم أمهلته حتى انصـرف ثم لَبّبته[٣] بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسـول الله، إني سمعت هذا يقـرأ سورة «الفرقان» على غـير ما أقرأتنيـها فقال رسول الله ﷺ: «أرْسِلْه اقْرأ» فقرأ القراءة التي سمـعته يقرأ؛ فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال لي: «اقرأ» فقرأت فقال: «هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سـبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»[٤].

= وكثير من الشافعية .

المذهب الثاني: أنها ليست بحجة ولا يجوز العمل بها ،وإليه ذهب **الإمام الشافعي** ـ رحمه الله ـ في أحد قوليه، وبعـض أصحابـه وهو مذهب الإمام مالك ـ رحمـه الله .

ورواية عن الإمام أحمد ـ رحـمه الله . راجع : تيسير التحـرير (٣/ ٩) ، وشرح الكوكب المنير (٢/ ١٣٨) ، وجمع الجوامع بشرح جلال الدين المحلي (١/ ٢٣١) انتهى نقلاً من هامش طبعة دار الحديث.

(١) **الرصف** : ضم الشيء بعضه إلى بعض . اللسان «رصف».

(٢) **متفق عليه** : البخاري (٧٥٥٠) في التوحيد ، ومسلم (٨١٨) في صلاة المسافرين .

(٣) **اللبةُ** : وسط الصـدر والنحر والجمع لبَـات ولباب يقال : لبـب الرجل ، أي : جعل ثيابه في عنقـه وصدره في الخصومة . اللسان «لبب» .

(٤) **صحيح** : البخاري (٤٩٩٢) في فضائل القرآن .

قلت: وفي معنى حديث عمر، ما رواه مسلم عن أُبَيّ بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي، فقرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما النبيّ ﷺ فقرآ، فحسّن النبيّ ﷺ شأنهما؛ فَسُقِط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية[1]، فلما رأى النبيّ ﷺ ما قد غشيني، ضرب في صدري ففضت عَرَقاً، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فَرَقاً، فقال لي: «يا أُبَيّ أُرْسِلَ إليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فردّ إليّ الثانيةَ اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فردّ إليّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، فَلَكَ بكل رَدّة رَدَدْتُكَها مسألة تسألنيها، فقلت: اللّهمّ اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي وأخّرت الثالثة ليومٍ يَرغبُ إليّ فيه كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»[2].

قول أُبيّ رضي الله عنه: فسقط في نفسي. معناه: اعترتني حَيْرة ودهشة؛ أي أصابته نزغة من الشيطان ليشوّش عليه حاله، ويكدّر عليه وقته؛ فإنه عظّم عليه من اختلاف القراءات ما ليس عظيماً في نفسه؛ وإلا فأيّ شيء يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراءات، ولم يلزم ذلك والحمد لله في النَّسخ الذي هو أعظم، فكيف بالقراءة.

ولمّا رأى النبيّ ﷺ ما أصابه من ذلك الخاطر نبّهه بأن ضربه في صدره، فأعقب ذلك بأن انشرح صدره وتنوّر باطنه، حتى آل به الكشف والشرح إلى حالة المعاينة؛ ولما ظهر له قُبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى وفاض بالعرق استحياء من الله تعالى، فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبيّ ﷺ حين سألوه: إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظَمُ أحدُنا أن يَتكلّم به قال: «وقد وجدتموه»؟ قالوا: نعم، قال: «ذلك صريح الإيمان». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة[3]. وسيأتي الكلام عليه في سورة «الأعراف» إن شاء الله تعالى.

باب ذكر جمع القرآن، وسبب كتب عثمان المصاحف وإحراقه ما سواها، وذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبيّ ﷺ

كان القرآن في مدّة النبيّ ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صُحُف وفي جَريد وفي لخاف وظُرَر وفي خَزَف وغير ذلك قال الأصمعي: اللِّخاف: حجارة بيض رِقاق، واحدتها لَخْفَة. والظُّرَر: حجر له حدّ كحد السكين، والجمع ظِرار؛ مثل رُطَب ورِطاب، ورُبَع ورِباع، وظِرّان

(١) قال النووي ـ رحمه الله : «قال القاضي عياض : معنى قوله هذا : أنه اعترته حيرة ودهشة ، وأن الشيطان نزع في نفسه تكذيبًا لم يعتقده . . وقال المازري : معنى هذا أن وقع في نفس أُبي بن كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة ، ثم زالت في الحال حين ضرب النبي ﷺ بيده في صدره ففاض عرقًا . شرح النووي على مسلم (٣/ ٣٢٩).

(٢) صحيح : مسلم (٨٢٠) في صلاة المسافرين وقصرها .

(٣) صحيح : مسلم (١٣٢) في الإيمان .

أيضاً مثل صُرَد وصِردان فلما استَحر[1] القتلُ بالقراء يوم اليمامة في زمن الصديق رضي الله عنه، وقُتل منهم في ذلك اليوم فيما قيل: سبعمائة، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القرّاء، كأبَيّ وابن مسعود وزيد؛ فندبا زيد بن ثابت إلى ذلك، فجمعه غير مرتب السُّوَر، بعد تعب شديد، رضي الله عنه. روى البخاريّ عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتلَ أهلِ اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إنّ القتل قد استَحرّ يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهَب كثير من القرآن إلاّ أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن؛ قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: هو والله خير؛ فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمر. قال زيد: وعنده عمر جالس لا يتكلم، فقال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتّهمك، كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن؛ قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؛ فقال أبو بكر: هو والله خير؛ فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر؛ فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة «التوبة» آيتين مع خُزيمة الأنصاري لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها. فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حتى توفّاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر[2]. وقال الليث: حدثني عبد الرحمن بن غالب عن ابن شهاب وقال: مع أبي خزيمة الأنصاري. وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقال الترمذي في حديثه عنه: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩]. قال: حديث حسن صحيح[3].

وفي البخاري عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصُّحف في المصاحف فَقَدْتُ آيةً من سورة «الأحزاب» كنت أسمع رسولَ الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين ـ ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[4]. وقال الترمذي

---

(١) استحرّ: اشتد وكثر. النهاية (١/ ٣٦٤) لابن الأثير.

(٢) صحيح: البخاري (٤٩٨٦) في فضائل القرآن.

الرقاع: ج (رقعة) وهي من جلد أو ورق أو كاغد: فتح (٩/ ١٤).

والكتف: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان والناس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم. فتح (٩/ ١٤).

والعُسُب: ج (عسيب) وهو: جريدة من النخل المستقيمة دقيقة يكشط خوصها. فتح (٩/ ١٤).

(٣) صحيح: الترمذي (٣١٠٣) في التفسير، وصححه الألباني هناك.

(٤) صحيح: البخاري (٤٩٨٨) في فضائل القرآن، والترمذي (٣١٠٣) في التفسير.

عنه: فقـدتُ آية من سورة «الأحـزاب» كنت أسمع رسـول ﷺ يقرؤها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فالتمستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة، فألحقتها في سورتها.

قلت: فسقطت الآية الأولى من آخر «براءة» في الجمع الأوّل، على ما قاله البخاري والترمذي؛ وفي الجمع الثاني فقدت آية من سورة «الأحزاب». وحكى الطبري: أن آية «براءة» سقطت في الجمع الأخير، والأوّل أصح والله أعلم. فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟ قيل له: إن عثمان رضي الله عنه لم يَقْصِد بما صنع جَمْعَ الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك؛ على ما يأتي. وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم؛ ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه. وذلك أنهم اجتمعوا في غَزْوة أرْمِينِيَة فقرأت كل طائفة بما رُوِي لها؛ فاختلفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا؛ فأشفق حذيفة مما رأى منهم؛ فلما قدم حُذيفة المدينة فيما ذكر البخاريّ والترمذيّ ـ دخل إلى عثمان قبل أن يدخل إلى بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تَهْلِك قال: في ماذا؟ قال: في كتاب الله، إني حضرت هذه الغزوة، وجَمَعت ناساً من العراق والشام والحجاز؛ فوصف له ما تقدّم وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى (١).

قلت: وهذا أدل دليل على بطلان من قال: إن المراد بالأحرف السبعة: قراءات القراء السبعة، لأن الحق لا يختلف فيه، وقد روى سُوَيد بن غَفَلَة عن عليّ بن أبي طالب أن عثمان قال: ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول: قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك. وهذا شبيه بالكفر؛ قلنا: ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين؟ قال: الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان مَن بعدكم أشد اختلافا، قلنا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين؛ فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك؛ فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم؛ ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (٢). وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلّة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك؛ فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبيّ ﷺ واطّراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأياً سديداً موفّقاً؛ رحمة الله عليه وعليهم أجمعين. وقال الطبري فيما روى: إن عثمان قَرَن بزيد أبَانَ بن

(١) صحيح: البخاري (٤٩٨٧) في فضائل القرآن.

(٢) صحيح: انظر الحديث السابق.

سعيد بن العاص وحـده؛ وهذا ضعيف. وما ذكره البخاري والترمذي وغـيرهما أصح. وقال الطبري أيضاً: إن الصحف التي كانت عند حفصة جُعلت إماماً في هذا الجمع الأخير؛ وهذا صحيح.

وقال ابن شهاب: وأخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين، أعزلُ عن نسخ المصاحف ويتولاّه رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجل كافر- يريد زيد بن ثابت. ولذلك قـال عبد الله بن مسعود: يا أهل العـراق، اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلُّوها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فالقوا الله بالمصاحف[١]، خرّجه الترمذي. وسـيأتي الكلام في هذا في سورة «آل عمران» إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر الأنباريّ: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسـعود في جـمع القرآن، وعـبد الله أفـضل من زيد، وأقدم في الإسـلام، وأكثر سـوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيداً كان أحفظ للـقرآن من عبد الله، إذ وَعاه[٢] كلّه ورسول الله ﷺ حيّ، والذي حفظ منه عبد الله في حيـاة رسول الله ﷺ نيّفًا وسبعين[٣] سورة، ثم تعلّم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حيّ أولى بجمع المصحف وأحق بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يظنّ جاهل أن في هذا طعنـاً على عبد الله بن مسعود؛ لأن زيداً إذا كـان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك مـوجباً لتـقدمتـه عليه، لأن أبا بكر وعمـر رضي الله عنهمـا كان زيد أحفظ منهـما للقرآن، وليس هو خيراً منهما ولا مساوياً لهـما في الفضائل والمناقب. قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسـعود من نكيـر ذلك فشيء نَتَجـه الغضب، ولا يُعمل به ولا يؤخـذ به، ولا يُشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيـار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم. فالشائع الذائع المتعالَم عند أهل الرواية والنقل: أن عبد الله بن مسعود تعلم بقـيّة القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد قال بعض الأئمـة: مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن. قال يزيد بن هارون: المـعوِّذتان بمنزلة البقرة وآل عمران، من زعم أنهما ليستا من القرآن فهو كـافر بالله العظيم؛ فقيل له: فقول عبد الله بن مسعود فـيهما؟ فقال: لا خلاف بين المسلمين في أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله.

قلت: هذا فيه نظر، وسيـأتي. وروى إسماعيل بن إسحاق وغيـره قال حماد أظنه عن أنس بن مالك، قال: كانوا يختلفون في الآية فيقـولون أقرأها رسول الله ﷺ فلان بن فلان؛ فعسى أن يكون من المدينة على ثلاث ليال فـيُرسَل إليه فيُجاء به، فـيقال: كيف أقرأك رسـول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيكتبون كما قال. قال ابن شهاب: واخـتلفوا يومئذ في التابوت، فقال زيد: التابوه. وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت؛ فرُفع اختلافهم إلى عثـمان فقال: اكتبوه بالتاء؛ فإنه نزل بلسان قريش. أخرجه البخـاري والترمذي[٤]. قال ابن عطية: قرأه زيـد بالهاء، والقرشيون بالتاء، فأثـبتوه بالتاء؛

---

(١) صحيح: الترمذي (٣١٠٤) في التفسير وصححه الألباني هناك.

(٢) وعاه: فهمه وحفظه.

(٣) في المطبوعات: «نيف وسبعون»، وهو خطأ، والصواب ما أثبته.

(٤) صحيح: البخـاري (٤٩٨٧، ٤٩٨٨) في فضائل القرآن بغير الزيادة الأخـيرة، وهي عند الترمذي (٣١٠٤) في التفسير.

وكتبت المصاحف على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ منها عثمان نسخاً. قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة وهو الأكثر، ووجّه بها إلى الآفاق، فوجه للعراق والشام ومصر بأمّهات، فاتخذها قرّاء الأمصار معتمد اختياراتهم، ولم يخالف أحد منهم مصحفه على النحو الذي بلغه، وما وجد بين هؤلاء القرّاء السبعة من الاختلاف في حروف يزيدها بعضهم وينقصها بعضهم؛ فذلك لأن كلاً منهم اعتمد على ما بلغه في مصحفه ورواه، إذ قد كان عثمان كتب تلك المواضع في بعض النسخ ولم يكتبها في بعض إشعاراً بأن كل ذلك صحيح، وأن القراءة بكل منها جائزة. قال ابن عطية: ثم إن عثمان أمر بما سواها من المصاحف أن تُحرَق أو تُخرق، تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الردّ» عن سُوَيد بن غَفَلة قال: سمعت عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله وإيّاكم والغُلُوّ [١] في عثمان، وقولكم: حرّاق المصاحف؛ فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ. وعن عُمير بن سعيد قال: قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان. قال أبو الحسن بن بطّال. وفي أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها وصيانة عن الوطء بالأقدام، وطرحها في ضياع من الأرض. روى معمر عن ابن طاوس عن أبيه: أنه كان يحرق الصحف إذا اجتمعت عنده الرسائل فيها بسم الله الرحمن الرحيم. وحرق عروة بن الزبير كتب فقه كانت عنده يوم الحَرّة، وكره إبراهيم أن تحرق الصحف إذا كان فيها ذكر الله تعالى؛ وقول من حرقها أولى بالصواب، وقد فعله عثمان. وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة: جائز للإمام تحريق الصحف التي فيها القرآن، إذا أدّاه الاجتهاد إلى ذلك.

فصل: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وفي فعل عثمان رضي الله عنه ردٌّ على الحُلولية [٢] والحَشْوِيّة [٣] القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة قديمة، وأن الإيمان قديم، والروح قديم؛ وقد أجمعت الأمة وكل أمة من النصارى واليهود والبراهمة بل كل ملحد وموحد أن القديم

---

(١) الغلو: مجاوزة الحد. مختار الصحاح (ص٣٠٨).

(٢) الحلولية: هم أهل الحلول قاتلهم الله، ويقال: أهل الحلول والاتحاد قالوا ـ قبحهم الله: إن الله في العالم كالماء في الصوفة، وكالحياة في الجسم، وإنه بذاته في كل مكان، كأنه الشمعة التي تتخذ عدة أشكال، فهو عندهم الوجود واختلاف أحواله كاختلاف أحوال الشمعة. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في جامع الرسائل.

(٣) الحشوية: قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور، وهم القائلون بالتجسيم ونحوه، ومفهوم السلف يرمونهم بهذا الاسم فاحذر. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١/ ٣٥٣).

قلت: وهو خطأ، فالسلف لا يقولون بورود ما لا معنى له. بل يقرون بالمعنى الذى أراده تعالى كقولهم: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب) أما الحشوية ينكرون أن يكون للاستواء معنى!! فاعقل وانتبه.

لايُفْعَل ولا تتـعلق به قدرة قادر بوجه ولا بسبـب، ولا يجوز العدم على القديم وأن القـديم لا يصير مُحْدَثًا، والمحدَث لا يصير قديماً، وأن القـديم ما لا أوّل لوجوده، وأن المحدَث هو ما كان بعد أن لم يكن. وهذه الطائفة خرقـت إجماع العقلاء من أهل الملل وغـيرهم؛ فقالوا: يجوز أن يصـير المحدث قديماً، وأن العـبد إذا قرأ كلام الله تعـالى فعل كلامـاً لله قديماً، وكذلك إذا نحت حروفـاً من الآجُرّ والخشب، أو صاغ أحـرفاً من الذهب والفضة، أو نسج ثوباً فـنقش عليه آية من كتاب الله فـقد فعل هؤلاء كلام الله قـديماً، وصار كلامه منسـوجاً قديماً ومنحـوتاً قديماً ومصوغـاً قديماً؛ فيقـال لهم: ما تقولون في كـلام الله تعالى، أيجوز أن يذاب ويمحى ويحـرق؟ فإن قالوا: نعم، فـارقوا الدّين، وإن قالوا: لا، قيل لهم: فمـا قولكم في حروف مصوّرة آية من كتـاب الله تعالى من شمع، أو ذهب أو فضة أو خشب أو كاغـد فوقعت في النار فذابت واحترقت، فهل تقولـون: إن كلام الله احترق؟ فإن قـالوا: نعم، تركوا قـولهم؛ وإن قـالوا: لا، قيل لـهم أليس قلتم: إن هذه الكتـابة كلام الله وقـد احترقت وقلتم: إن هذه الأحرف كلامه وقد ذابت؛ فـإن قالوا: احترقت الحروف وكلامه تعالى باق، رجعوا إلى الحق والصواب ودانوا بالجواب؛ وهو الذي قاله النبيّ ﷺ، منبّهاً على ما يقول أهل الحق: «لو كان القرآن في إهاب ثم وقع في النار مـا احترق»[1] وقال الله عزّ وجلّ: « أنزلـت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقـرؤه نائماً ويقظان»[2] الحديث، أخرجـه مسلم. فثبت بـهذا أن كلامه سبـحانه ليس بحرف ولا يشبه الحروف. والكلام في هذه المسألة يطول، وتتميمها في كتب الأصول، وقد بيناها في (الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى)[3].

فصل: وقد طعن الرافضة قبحـهم الله تعالى في القرآن، وقالوا: إن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف كـما فعـلتم، فإنكم أثبتم بـقول رجل واحد وهو خـزيمة بن ثابت وحده آخـر سورة «براءة» وقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾[الأحزاب: ٢٣]. فالجواب: أن خزيمة رضي الله عنه لما جاء بهما تذكّرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفـهما، ولذلك قال: فقدتُ آيتين من آخر سورة «التوبة». ولو لم يعرفهـما لم يدر هل فَقَدَ شـيئاً أوْ لا، فالآية إنما ثبـتت بالإجماع لا بخزيمة وحـده. جواب ثان: إنما ثبتت بشهادة خزيمـة وحده لقيام الدليل على صحتها في صـفة النبيّ ﷺ. فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخـلاف آية «الأحزاب» فإن تلك ثبتت بشهـادة زيد وأبي خزيمة لسماعـهما إياها من النبيّ ﷺ. قال معناه المـهلب، وذكر أن خزيمة غير أبي خـزيمة، وأن أبا خزيمة الذي وجدت معـه آية التوبة معروف من الأنصـار، وقد عرفه أنس وقال: نحن ورثناه، والتي في الأحـزاب وجدت مع خزيمة بن ثابت فلا تعارض؛ والقصة غير القصة لا إشكال فـيها ولا التبـاس. وقال ابن عبد البر: أبو خزيمة

---

(١) حسن: أحمد (٤/ ١٥٤) في المسند، عن عقبة بن عامر، وحسنه الألباني (٥٥٨٢) في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: قطعة من حديث طويل رواه مسلـم (٢٨٦٥/ ٦٣) في الجنة وصفة نعيـمها وأهلها، عن عـياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

والمعنى (محفـوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب؛ بل يبقى على مر الأزمـان) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٩١).

(٣) الأسني للقرطبي (٢/ ٥٤/ ٢٠٣).

لا يوقف على صحة اسمه وهو مشهور بكنيته» وهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن غُنْم بن مالك بن النجار، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وتوفّى في خلافة عثمان بن عفان، وهو أخو مسعود بن أوس. قال ابن شهاب عن عبيد بن السبَّاق عن زيد بن ثابت: وجدت آخر التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري وهو هذا، وليس بينه وبين الحارث بن خزيمة أبي خزيمة نسب إلا اجتماعهما في الأنصار، أحدهما أوْسيّ والآخر خَزْرَجيّ (١). وفي مسلم والبخاري عن أنس بن مالك قال: جمع القرآنَ على عهد النبيّ ﷺ أربعةٌ كلهم من الأنصار: أُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت لأنس: مَن أبو زيد؟(٢) قال: أحد عمومتي. وفي البخاريّ أيضاً عن أنس قال: مات النبيّ ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد» [قال]: ونحن ورثناه (٣) وفي أخرى قال: مات أبو زيد ولم يترك عَقِباً، وكان بَدْرِيًّا، واسم أبي زيد سعد بن عُبيد. قال ابن الطَّيب رضي الله عنه: لا تدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة النبيّ ﷺ ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعليّ وتميم الداريّ وعُبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من في رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة؛ فإن أكثرهم أخذ بعضَه عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.

قلت: لم يذكر القاضي: عبدَ الله بن مسعود وسالماً مولى أبي حُذيفة رضي الله عنهما فيما رأيت، وهما ممن جمع القرآن. روى جرير عن عبد الله بن يزيد الصهباني عن كُميل قال: قال عمر ابن الخطاب: كنت مع رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ومن شاء الله، فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا الذي يقرأ القرآن؟». فقيل له: هذا عبد الله بن أُمّ عَبْد؛ فقال: «إن عَبْد الله يقرأ القرآن غَضا كما أنزل» الحديث(٤). قال بعض العلماء: معنى قوله: «غضًا كما أنزل» أي: إنه كان يقرأ الحرف الأوّل الذي أنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رُخّص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام القرآن إياه في كل رمضان. وقد روى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد الله بن عباس: أيّ القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابنِ أُمّ عَبْد؛ فقال لي: بل هي الآخرة، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرّة، فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين، فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نُسخ من ذلك وما بُدّل(٥). وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أمّ عبدٍ فبدأ به

---

(١) الاستيعاب (١/ ٣٥٢، ٣٥٣) برقم (٤١٣) بترقيمي .

(٢) متفق عليه : البخاري (٣٠٥٠) في فضائل القرآن ، ومسلم (٢٤٦٥) في فضائل الصحابة .

(٣) صحيح : البخاري (٥٠٠٤) في فضائل القرآن .

(٤) صحيح : أحمد (١/ ٣٨) في المسند ، وابن ماجه (١٣٨) في المقدمة ، وصححه الألباني (٢٣٠١) في الصحيحة وقال :« غضا : الغض: هو الطرى الذي لا يتغير قط ، طريقته في القراءة وهيأته فيها» .

(٥) حسن : الاستيعاب (٣/ ٩٩٢) لابن عبد البر .

ومعاذ بن جبل، وأُبَيّ بن كعب، وسالم مَوْلى أبي حُذيفة»(١).

قلت: هذه الأخبار تدل على أن عبد الله جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ خلاف ما تقدّم، والله أعلم. وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب « الردّ»: حدّثنا محمد بن شهريار، حدّثنا حسين بن الأسود ،حدّثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر عن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود: قرأت من في رسول الله ﷺ اثنتين وسبعين سورة أو ثلاثاً وسبعين سورة وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قال أبو إسحاق: وتعلّم عبد الله بقيّة القرآن من مُجَمِّع بن جارية الأنصاري.

قلت: فإن صح هذا، صح الإجماع الذي ذكره يزيد بن هارون، فلذلك لم يذكره القاضي أبو بكر بن الطيب مع من جمع القرآن وحفظه في حياة النبي ﷺ، والله أعلم.

قال أبو بكر الأنباري: حدّثني إبراهيم بن موسى الخُوزي، حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا مالك بن إسماعيل، حدّثنا زهير عن أبي إسحاق قال: سألت الأسود : ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة؛ قال: وقد قال بعض أهل العلم: مات عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه قبل أن يتعلم المعوّذتين؛ فلهذه العلة لم توجدا في مصحفه، وقيل غير هذا على ما يأتي بيانه آخر الكتاب عند ذكر «المعوّذتين» إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: والحديث الذي حدّثناه إبراهيم بن موسى: حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا عمر ابن هارون الخراساني عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن كعب القُرَظِيّ قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله ﷺ حيّ: عثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصور على محمد بن كعب؛ فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعوّل عليه.

قلت: قوله عليه السلام: «خذوا القرآن من أربعة من ابن أُمّ عَبْد» يدل على صحته، ومما يبين لك ذلك: أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشأم والعراق كلٌّ منهم عَزَا (٢) قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآن شيئاً؛ فأسند عاصم قراءته إلى عليّ وابن مسعود، وأسند ابن كَثير قراءته إلى أُبَيّ، وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أُبَيّ، وأما عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان؛ وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ، وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات. قاله الخَطّابي.

باب ما جاء في ترتيب سُور القرآن وآياته، وشكله ونقطه، وتحزيبه وتعشيره، وعدد حروفه وأجزائه وكلماته وآيه

قال ابن الطَّيب: إن قال قائل: قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن، فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدّم المكيّ على المدنيّ، ومنهم من جعل في أوّل مصحفه الحمد،

(١) متفق عليه : البخاري (٣٨٠٨) في مناقب الأنصار، ومسلم (٢٤٦٤) في فضائل الصحابة .

(٢) عزا : نسب . مختار الصحاح «عزا» .

ومنهم من جعل في أوّله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وهذا أوّل مصحف عليّ رضي الله عنه. وأما مصحف ابن مسعود فإن أوّله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ثم البقرة ثم النساء؛ على ترتيب مختلف. ومصحف أبيّ كان أوّله: الحمد لله، ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة؛ ثم كذلك على اختلاف شديد. قال القاضي أبو بكر بن الطيب: فالجواب: أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة. وذكر ذلك مكيّ رحمه الله في تفسيره سورة «براءة» وذكر أن ترتيب الآيات في السوَر ووضع البسملة في الأوائل هو من النبيّ ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أوّل سورة «براءة» تُركت بلا بسملة؛ هذا أصح ما قيل في ذلك، وسيأتي.

وذكر ابن وهب في جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يُسأل: لم قُدّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قُدّمتا وأُلف القرآن على علم ممن ألّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه، ولا نسأل عنه. وقد ذكر سُنيد قال: حدّثنا معتمر عن سلام بن مسكين عن قتادة قال: قال ابن مسعود: من كان منكم متأسّياً فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علماً، وأقلها تكلُّفاً، وأقومها هَدْياً، وأحسنها حالاً؛ اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم[(١)]. وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سُوَر القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبيّ ﷺ، وأما ما روي من اختلاف مصحف أُبَيّ وعليّ وعبد اللَّه فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول الله ﷺ رتّب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك. روى يونس عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ. وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الردّ»: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فُرّق على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريلُ رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية؛ فاتّساق السور كاتّساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمد خاتم النبيين عليه السلام، عن ربّ العالمين؛ فمن أخر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغيّر الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: «ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن»[(٢)]. وكان جبريل عليه السلام يقف على مكان الآيات.

حدّثنا حسن بن الحباب، حدّثنا أبو هشام، حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن أبي إسحاق عن البراء قال: آخر ما نزل من القرآن: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][(٣)]. قال أبو بكر بن عياش: وأخطأ أبو إسحاق، لأن محمد بن السائب حدّثنا عن

---

(١) وجدته في حلية الأولياء (١/ ٣٠٥) لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) ضعيف: أحمد (١/ ٥٧) في المسند، وضعفه العلامة شاكر برقم (٣٩٩) هناك، وضعفه الألباني (٣٠٨٦) بترقيمه وتحقيقه لسنن الترمذي ـ كتاب التفسير، وفي ضعيف أبي داود (١٤٠).

(٣) ضعيف وهذا صحيح: لكن رواه البخاري (٤٦٠٥) في التفسير، ومسلم (١٦١٨) في الفرائض من غير هذا الطريق، ففيه عن سليمان بن حرب ... عن أبي إسحاق.

أبي السائب عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فقال جبريل للنبيّ عليهما السلام: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة(١).

قال أبو الحسن بن بطّال: ومن قال بهذا القول لا يقول: إن تلاوة القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكون مرتبة على حسب الترتيب الموقَّف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة، ولا يُعلم أن أحداً منهم قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقّن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف؛ ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها للذي سألها: لا يضرك أيَّة قرأت قبلُ؛ وقد كان النبيّ ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها. وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوساً، وقالا: ذلك منكوس القلب؛ فإنما عَنَيَا بذلك من يقرأ السورة منكوسة، ويبتدئ من آخرها إلى أوّلها؛ لأن ذلك حرام محظور؛ ومن الناس من يتعاطى هذا في القرآن والشعر ليذلل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ، وهذا حظّره الله تعالى ومنعه في القرآن، لأنه إفساد لسوره ومخالفة لما قصد بها.

ومما يدل على أنه لا يجب إثباته في المصاحف على تاريخ نزوله: ما صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السورة المكية، ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده تعني بالمدينة وقد قدّمتا في المصحف على ما نزل قبلهما من القرآن بمكة، ولو ألّفوه على تاريخ النزول لوجب أن ينتقض ترتيب آيات السُّوَر.

قال أبو بكر الأنباري: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدّثنا حجاج بن منهال، حدّثنا همام عن قتادة قال: نزل بالمدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويأيها النبيّ لم تُحَرّم إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله. هؤلاء السُّوَر نزلن بالمدينة؛ وسائر القرآن نزل بمكة.

قال أبو بكر: فمن عمل على ترك الأثر والإعراض عن الإجماع ونظم السُّوَر على منازلها بمكة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة، لاختلاف الناس في موضع نزولها، ويضطر إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به، وردّ على محمد ﷺ ما حكاه عن ربه تعالى. وقد قيل: إن علة تقديم المدنيّ على المكيّ: هو أن الله تعالى خاطب العرب بلغتها، وما تعرف من أفانين خطابها ومحاورتها؛ فلما كان فنٌّ من كلامهم مبنياً على تقديم المؤخر وتأخير المقدّم خوطبوا بهذا المعنى في كتاب الله تعالى الذي لو فقدوه من القرآن لقالوا: ما باله عَرِي من هذا الباب الموجود في كلامنا المستحلَى من نظامنا. قال عَبِيد بن الأبرص:

---

(١) ضعيف: ومحمد بن السائب هو الكلبي: متهم بالكذب.

أن بُدّلتْ منهـمُ وحوشًا ... وغيّرتْ حالَها الخطوبُ
عيناكَ دَمْعُهما سَـرُوبُ ... كـأنّ شَأنَيْهما شَعيب

أراد : عيناك دمعهما سَروب ؛لأن تبدّلت من أهلهـا وحوشاً، فقدّم المؤخر وأخر المقدّم؛ ومعنى سَروب: منصبّ على وجه الأرض. ومنه السارب، للذاهب على وجهه في الأرض؛ قال الشاعر:

أنَّى سَرَبتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ(١)

وقوله: شـأنيهمـا، الشأن واحد الشـؤون، وهي مَوَاصِلُ قبـائل الرأس وملتقـاها، ومنها يجيء الدمع. شعيب: متفرّق.

فصل: وأما شَكْل المصحف ونَقْطه، فرُوِي أن عبد الملك بن مَرْوان أمـر به وعمله، فتجرّد لذلك الحجاج بواسط وجدّ فـيه وزاد تحزيبه، وأمر وهو والي العراق الحسن ويحـيى بن يعمر بذلك، وألّف إثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات.

وأسند الزّبيدي في كتاب «الطبقـات» إلى المبرد :أن أوّل من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي؛ وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر.

فصل: وأما وضع الأعشار، فقال ابن عطية: مرّ بي في بعض التـواريخ: أن المأمون العباسي أمر بذلك، وقيل: إن الحـجاج فعل ذلك. وذكـر أبو عمرو الدّاني في كتـاب البيان له عن عـبد الله بن مسعـود أنه كَرِه التّعشـير في المصحف، وأنه كان يَحُكّه. وعن مـجاهد أنه كره التعشـير والطّيب في المصحف. وقالَ أشهب: سمعت مالكاً وسُئل عن العشور التي تكون في الصحف بالحمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك، وقـال: تعشيـر المصحف بالحبـر لا بأس به، وسئل عن المصـاحف يكتب فيـها خواتم السُّوَر في كل سورة مـا فيها من آية، قال: إني أكره ذلك في أمهات المصـاحف أن يُكتب فيها شيء أو يشكل، فأما ما يتعلم به الغلمان من المصـاحف فلا أرى بذلك بأساً. قال أشهب: ثم أخرج إلينا مصحفاً لجَدّه، كتبه إذ كتب عثمان المصاحف، فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيته معجوم الآي بالحبر. وقال قتـادة: بدؤوا فنقطوا ثم خمّسوا ثم عشّروا. وقال يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرّدا في المصاحف، فأوّل ما أحدثوا فيه النّقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثم أحدثوا نقـطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفـواتح والخواتيم. وعن أبي حمزة قال: رأى إبراهيم النَّخَعِيّ في مصحفي فاتحة سورة كذا وكذا، فقال لي: امحه فإن عبد الله بن مسعـود قال: لا تخلطوا في كتـاب الله ما ليس فيه. وعن أبي بكر السـراج قال: قلت لأبي رزين: أأكتب في مصحفي سورة كذا وكذا؟ قال: إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنونه من القرآن.

قال الدّاني رضي اللـه عنه: وهذه الأخبار كلهـا تؤذن بأن التعشـير والتـخميس وفـواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة رضي الله عنهم، قادهم إلى عمله الاجتهاد؛ وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنما كره أن يعـمل بالألوان كالحمرة والصفرة وغيـرهما؛ على أن المسلمين في سائر

---

(١) ذكره صاحب اللسان (١/ ٤٦٢) وعزاه لقيس بن الخطيم ، وعجز البيت :
وتقرب الأحلام غير قريب

الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمهـات وغيرها، والحرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله.

فصل: وأما عدد حـروفه وأجزائه فروى سلام أبو مـحمد الحِماني أن الحـجاج بن يوسف جمع القرّاء والحـفاظ والكُتّاب، فقـال: أخبروني عن القـرآن كله كم من حرف هو؟. قال: وكنت فيهم، فحسـبنا فأجمعنا على أن القـرآن ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف حـرف وسبعمـائة حرف وأربعون حرفًا. قال: فأخبـروني إلى أيّ حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩] في الفاء. قال: فأخبروني بأثـلاثه فإذا الثلث الأوّل رأس مائة من براءة، والثلث الثاني رأس مائة أو إحدى ومائة من «طسم الشعراء»، والثلث الثالث ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف فإذا أوّل سبع في النساء ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ [النساء: ٥٥] في الدال، والسبع الثاني في الأعراف ﴿حَبِطَتْ﴾ في التاء، والسبع الـثالث في الرعد ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] في الألف من آخر أكلها، والسبع الرابع في الحج ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٣٤] في الألف، والسبع الخامس في الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٦] في الهاء، والسبع السادس في الفتح ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] في الواو، والسبع السابع ما بقي من القرآن.

قال سلام أبو محمد: عملناه في أربعة أشهـر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعا، فأوّل ربعه خاتمة الأنعام. والربع الثاني في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩]، والربع الثالث خاتمة الزُّمَر، والربع الرابع ما بقي من القرآن. وفي هذه الجـملة خلاف مذكور في كتاب «البيـان» لأبي عمرو الدّاني، من أراد الوقوف عليه وجده هناك.

فصل: وأما عدد آي القرآن في المدنيّ الأوّل، فقال محمـد بن عيسى: جميع عدد آي القرآن في المدني الأوّل ستـة الاف آية. قال أبو عمرو: وهو العـدد الذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، ولم يسمّوا في ذلك أحداً بعينه يسندونه إليه.

وأما المدنيّ الأخير، فهو في قول إسماعيل بن جعفر: ستة آلاف آية ومائتا آية وأربع عشرة آية: وقال الفضل: عدد آي القرآن في قول المكيين ستة آلاف آية ومـائتا آية وتسع عشرة آية. قال محمد بن عيسى: وجمـيع عدد آي القرآن في قول الكوفيين ستـة آلاف آية ومائتا آية وثلاثون وست آيات، وهو العدد الذي رواه سليم والكسائي عن حمزة، وأسنده الكسـائي إلى عليّ رضي الله عنه. قال محمد: وجميع عدد آي القرآن في عدد البصريين سـتة آلاف ومائتان وأربع آيات، وهو العدد الذي مضى عليه سلفهم حتى الآن. وأما عدد أهل الشام، فقال يـحيى بن الحارث الذِّمَاري: ستة آلاف ومائتان وست وعشرون. فـي رواية: ستة آلاف ومائتـان وخمس وعشرون؛ نقص آية. قـال ابن ذَكْوان: فظننت أن يحيى لم يعدّ «بسم الله الرحمن الـرحيم». قال أبو عمرو: فهذه الأعداد التي يتـداولها الناس تأليفاً، ويعدّون بها في سائر الآفاق قديماً وحديثاً.

وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان: جميع كلمـات القرآن في قول عطاء بن يسار سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة.

وحروفه: ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

قلت: هذا يخالف ما تقدّم عن الحماني قبل هذا. وقال عـبد الله بن كثير عن مجاهد قال: هذا ما أحـصينا من القرآن، وهو ثلاثمائـة ألف حرف وأحد وعشـرون ألف حرف ومائة وثمانون حـرفًا، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا عن الحماني من عدّ حروفه.

باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف

معنى السورة في كـلام العرب: الإبانة لها من سورة أخـرى وانفصالها عنهـا، وسُمّيت بذلك؛ لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة. قال النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاكَ سُورةً ترى كلّ مَلْك دونها يَتَذَبذَبُ

أي: منزلة شرف ارتفعت إليـها عن منزل الملوك. وقيل: سُمّيت بـذلك لشرفها وارتفاعهـا كما يقال لما ارتفع من الأرض سور. وقيل: سميت بذلك؛ لأن قـارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسُور البناء كله بغـير همز. وقـيل. سُمّـيت بذلك؛ لأنها قطعت من القـرآن على حِدَة، من قـول العرب للبقيّة: سُؤر، وجاء في أسآر الناس، أي: بقـاياهم فعلى هذا يكون الأصل سؤرة بالهمزة ثم خُفّفت فأبدلت واوًا لانضمام ما قبلهـا. وقيل: سميت بذلك لتمامها وكمالهـا من قول العرب للناقة التامة: سُورة، وجمع سُورة سُوَر بفتح الواو. وقال الشاعر:

سُودُ المحاجرِ لا يَقرأْنَ بالسّوَر (١)

ويجوز أن يجمع على سُورات وسُوَرات.

وأمـا الآية: فهي العـلامـة، بمعنى أنها عـلامـة لانقطاع الكلام الذي قبـلها من الذي بعـدها وانفصاله، أي هي بائنة من أخـتها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين فـلان آية، أي: علامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وقال النابغة:

توهّمتُ آيات لها فعرفتُها لستة أعوام وذا العامُ سابعُ

وقيل: سُمّيت آية؛ لأنها جماعة حـروف من القرآن وطائفة منه كما يقال: خرج القوم بآياتهم، أي: بجماعتهم. قال بُرج بن مُسْهر الطائي:

خَرجنا من النّقْبَيْن لا حَيّ مثلُنا بآياتنا نُزجي اللّقاحَ المَطافلا (٢)

وقيل: سُمّيت آية؛ لأنها عجب يعجـز البشر عن التكلم بمثلها. واختلف النحويون في أصل آية فقال سيبويه: أَيَيَة على فَعَلَة مثل أكمة وشجرة، فلما تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدّة. وقال الكسائي: أصلها آيِيَة على وزن فـاعلة مثل آمنة، فقلبت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلهـا، ثم حذفت لالتباسها بالجمع. وقال الفرّاء: أصلها أيّـة بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفا كراهة للتشديد، فصارت آية وجمعها آي وآيات وآياء. وأنشد أبو زيد:

---

(١) وصدر البيت:

هن الحرائر لاربات أخمرة

(٢) البيت في اللسان (١٤/ ٦٢) والمعنى: خرجنا بجماعتنا، نسوق اللّقاح ومفردها (اللقحة) وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل: النوق معها أولادها.

لم يُبقِ هذا الدهر من آيائه غيرَ أثافيه وأرْمِـــدائه(١)

وأما الكلمة: فهي الصورة القائمـة بجميع ما يختلط بها من الشّـبهات، أي: الحروف، وأطول الكلم في كتاب الله عـزّ وجلّ ما بلغ عشرة أحرف، نحـو قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]. و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨] وشبههما، فأما قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] فهو عشرة أحرف في الرسم وأحد عشر في اللفظ. وأقصرهن ما كـان على حرفين نحو ما ولا ولك وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مـثل همزة الاستفهام وواو العطف، إلا أنه لا ينطق به مفردًا. وقـد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحـو قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾. ﴿وَالضُّحَىٰ﴾. ﴿وَالْعَصْرِ﴾. وكذلك ﴿الٓمٓ﴾. و ﴿الٓمٓصٓ﴾. و ﴿طه﴾. و ﴿يسٓ﴾. و ﴿حمٓ﴾ في قول الكوفيين، وذلك في فواتح السور، فـأما في حشـوهن فلا. قال أبو عمـرو الدّاني: ولا أعلم كلمة هي وحـدها آية إلا قوله في الرّحمن: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] لا غير. وقد أتت كلمتان متصلتان وهما آيتان، وذلك في قوله: ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ﴾ على قول الكوفيين لا غـير. وقد تكون الكلمة في غيـر هذا: الآية التامة، والكلام القائم بنفسه، وإن كان أكـثر أو أقل، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] قيل: إنما يعنى بالـكلمة ها هنا قوله تبـارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] إلى آخر الآيتين، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. قال مجاهد: لا إله إلا الله. وقال النبيّ ﷺ: «كلمتان خفـيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيـبتان إلى الرحمن: سبـحان الله وبحمده سبـحان الله العظيم»(٢). وقد تسمّي العـرب القصيدة بأسرها، والقصة كلها، كلمـة فيقولون: قال قُس(٣) في كلمته كذا، أي في خطبـته، وقال زُهير في كلمته كـذا، أي: في قصيدته وقـال فلان في كلمته يعني في رسـالته فتسمي جـملة الكلام كلمة إذ كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميـتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه، مجازًا واتساعًا.

وأما الحرف، فهو الشّبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفا على ما بيناه من الاتساع والمجاز. قال أبو عمرو الداني: فإن قـيل فكيف يسمى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حـرف واحد نحو ﴿صٓ﴾ و ﴿قٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ حرفا أو كلمة؟ قلـت: كلمة لا حرفا، وذلك من جهة أن الحرف لا يسكت عليه، ولا ينفرد وحده في الصورة ولا ينفصل مما يختلط به وهذه الحروف مسكوت عليها منـفردة منفصلة كانفراد الكلم وانفصالها، فلذلك سُـمّيت كلمات لا حروفا. قال أبو عمـرو: وقد يكون الحرف في غير هذا: المذهب والوجـه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي: على وجه ومذهب، ومن ذلك قول النبيّ ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»(٤) أي: سبعة أوجه من اللغات، والله أعلم.

---

(١) في اللسان: الأرمداء: جمع الرماد، وانظره (٣/ ١٨٥). والأثافي: الحجارة التي توضـع حول النار ليوضع عليها القدر.

(٢) متـفق عليه: هو آخر حـديث في صحيح البـخاري ورقمه (٧٥٦٣) في التـوحيد، ومـسلم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء.

(٣) هو قس بن ساعدة الإيادي أحد الحنفاء في الجاهلية هلك قبل الإسلام، وزهير هو ابن أبي سلمى الشاعر.

(٤) صحيح: وقد سبق.

باب: هل ورد في القرآن
كلمات خارجة عن لغات العرب أو لا؟

لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلامًا لمن لسانه غير لسان العرب؛ كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط.

واختلفوا: هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب؟ فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب والطبريّ وغيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه، وأن القرآن عربيّ صريح، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم، وذهب بعضهم إلى وجودها فيه، وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تُخرج القرآن عن كونه عربيًا مبينًا، ولا رسولَ الله عن كونه متكلمًا بلسان قومه. فالمشكاة: الكُوّة. ونشأ: قام من الليل ومنه ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦] و ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨] أي ضعفين. و ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١] أي الأسد كله بلسان الحبشة. والغَساق: البارد المُنْتن بلسان الترك. والقسطاس: الميزان بلغة الروم. والسِّجيل: الحجارة والطين بلسان الفرس. والطّور: الجبل. والْيَمّ: البحر بالسريانية. والتّنّور: وجه الأرض بالعجمية[1].

قال ابن عطية: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة[2] التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات، وبرحلتي قريش، وكسفر مُسافر بن أبي عمرو إلى الشام، وكسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحِيرَة، وصحبته لنصارها مع كونه حجة في اللغة؛ فعَلقت العرب بهذا كله ألفاظًا أعجمية غيّرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العُجْمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربيّ الصحيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن، فإن جهلها عربيّ ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يَعرف ابن عباس معنى «فاطر» إلى غير ذلك. قال ابن عطية: «وما ذهب إليه الطبري ـ رحمه الله ـ من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة، فذلك بعيد، بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر؛ لأنّا لا ندفع أيضًا جواز الاتفاق قليلاً شاذا.

قال غيره: والأوّل أصح. وقوله: هي أصل في كلام غيرهم دَخيلة في كلامهم، ليس بأولى من العكس، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أو لا، فإن كان الأوّل فهي من كلامهم، إذ لامعنى للغتهم وكلامهم إلا ما كان كذلك عندهم، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة.

---

(١) هذا المبحث ذكره الطبري (١/ ٢١٥) في مقدمة تفسيره.

(٢) هم العرب الخالصة وهم المنحدرة من صلب يعرب بن يشجب بن قطحان وتسمى (القحطانية) وأما المستعربة فهم المنحدرة من نسل إسماعيل عليه السلام ويسمون بـ (العدنانية).

وانظر: بلوغ الأرب (١/ ٩)، والمزهر (١/ ٣١)، وروح الذهب (٢/ ١٥١)، وتاريخ العرب القدامى لجواد العلى (٢/ ٣٣٧) وما بعدها.

فإن قيل: ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه.

قلنا: ومن سلّم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها ،فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب وردّ هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية، وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربيًا مبينًا، ولا يكون الرسول مخاطبًا لقومه بلسانهم، والله أعلم.

باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها

المعجزة : واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسُمّيت معجزة؛ لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة، فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

فالشرط الأوّل من شروطها: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لأنه لو أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرسل وادّعى الرسالة وجعل معجزته أن يتحرّك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي ادّعاه معجزة له، ولا دالاً على صدقه لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفَلْق البحر، وانشقاق القمر، وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر.

والشرط الثاني: هو أن تخرق العادة. وإنما وجب اشتراط ذلك، لأنه لو قال المدّعي للرسالة: آيتي مجيء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها لم يكن فيما ادّعاه معجزة، لأن هذه الأفعال وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، فلم تفعل من أجله، وقد كانت قبل دعواه على ما هي عليه في حين دعواه، ودعواه في دلالتها على نبوّته كدعوى غيره ، فبان أنه لا وجه له يدل على صدقه، والذي يستشهد به الرسول عليه السلام له وجه يدل على صدقه، وذلك أن يقول: الدليل على صدقي: أن يخرق الله تعالى العادة من أجل دعواي عليه الرسالة، فيقلب هذه العصا ثعبانًا، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين أصابعي كما ينبعه من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التي ينفرد بها جبار الأرض والسموات فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه، لو أسمعنا كلامه العزيز وقال: صدق، أنا بعثته. ومثال هذه المسألة ـ ولله ولرسوله المثل الأعلى ـ ما لو كانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الأرض، وقال أحد رجاله وهو بمرأى منه والملك يسمعه: الملك يأمركم أيها الجماعة بكذا وكذا، ودليل ذلك: أن الملك يصدّقني بفعل من أفعاله، وهو أن يخرج خاتمه من يده قاصدًا بذلك تصديقي فإذا سمع الملك كلامه لهم ودعواه فيهم، ثم عمل ما استشهد به على صدقه، قام ذلك مقام قوله لو قال: صدق فيما ادّعاه عليّ. فكذلك إذا عمل الله عملاً لا يقدر عليه إلا هو، وخرق به العادة على يد الرسول، قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو أسمعناه وقال: صدق عبدي في دعوى الرسالة، وأنا أرسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا.

والشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عزّ وجلّ فيقول: آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتًا أو يحرّك الأرض عند قولي لها: تزلزلي، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل

المتحدّى به.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وَفْق دعوى المتحدّي بها المستشهد بكونها معجزة له، وإنما وجب اشتراط هذا الشرط؛ لأنه لو قال المدّعي للرسالة: آية نبوّتي ودليل حجتي أن تنطق يدي أو هذه الدابة فنطقت يده أو الدابة بأن قالت: كذب وليس هو نبيّ، فإذا هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدّعي للرسالة؛ لأن ما فعله الله لم يقع على وَفْق دعواه. وكذلك ما يروى أن مُسَيْلمة الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء، فما فعل الله سبحانه من هذا، كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يديه؛ لأنها وقعت على خلاف ما أراده المتنبئ الكذاب.

والشرط الخامس من شروط المعجزة: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدّى على وجه المعارضة، فإن تم الأمر المتحدّى به المستشهد به على النبوّة على هذا الشرط مع الشروط المتقدّمة، فهي معجزة دالة على نبوّة من ظهرت على يده، فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبيًا، وخرج عن كونه معجزًا ولم يدل على صدقه، ولهذا قال المولى سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]. كأنه يقول: إن ادّعيتم أن هذا القرآن من نظم محمد ﷺ وعمله، فاعملوا عشر سُوَر من جنس نظمه، فإذا عجزتم بأسركم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من نظمه ولا من عمله.

لا يقال: إن المعجزات المقيّدة بالشروط الخمسة لا تظهر إلا على أيدي الصادقين، وهذا المسيح الدّجال فيما رويتم عن نبيّكم ﷺ يظهر على يديه من الآيات العظام، والأمور الجسام، ما هو معروف مشهور؛ فإنّا نقول: ذلك يدّعي الرسالة، وهذا يدّعي الرّبوبية وبينهما من الفرقان ما بين البصراء والعميان، وقد قام الدليل العقلي على أن بعثة بعض الخلق إلى بعض غير ممتنعة ولا مستحيلة، فلم يبعد أن يقيم الله تعالى الأدلة على صدق مخلوق أتى عنه بالشرع والملّة.

ودلت الأدلة العقلية أيضًا على أنّ المسيح الدّجال فيه التصوير والتغيير من حال إلى حال، وثبت أن هذه الصفات لا تليق إلا بالمحدَثات، تعالى ربّ البريّات عن أن يشبه شيئًا أو يشبهه شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فصل: إذا ثبت هذا فاعلم أن المعجزات على ضربين: الأوّل: ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبيّ ﷺ. والثاني: ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه: أن يكون الناقلون له خَلْقًا كثيرًا وجَمًا غفيرًا، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علمًا ضروريًا، وأن يستوي في النقل أوّلهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبيّ عليه الصلاة والسلام، لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خَلَفًا عن سَلَف والسّلفُ عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبيّ عليه السلام المعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عزّ وجلّ، فنقلَ القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان،

ونقله إلينا بعدهم أهل التـواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيـما ينقلونه ويسمعـونه، لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروريّ بصدقـهم فيما نقلوه من وجود محمـد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحـدّيه به. ونظير ذلك من علم الدنيـا علم الإنسان بما نقـل إليه من وجـود البلدان، كالبـصرة والشام والعراق وخُراسـان والمدينة ومكة، وأشباه ذلك من الأخبار الكثيـرة الظاهرة المتواترة، فالقرآن معجزة نبيّنا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامـة، ومُعجزة كلّ نبيّ انقرضت بانقراضه، أو دخلها التبديل والتغيير، كالتوراة والإنجيل.

ووجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة:

منها: النظم البـديع المخالف لكل نظم معـهود في لسان العرب وفي غـيرها؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قـال رب العزة الذي تَوَلّى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يَس: ٦٩]. وفي صحيح مسلم أن أُنيسا أخا أبي ذَرّ قال لأبي ذَرّ: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت: فمـا يقول الناس؟ قال يقولون: شـاعر، كاهن، ساحـر وكان أُنيس أحد الشـعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقْراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. وكذلك أقَرّ عُتْبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر لَمّا قرأ عليـه رسول الله ﷺ: «حـمَ، فُصّلت»، على ما يأتي بيانه هنالك فإذا اعتـرف عُتبة على موضعـه من اللسان وموضعه من الفصـاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مـثل القرآن قَطّ كان في هذا القول مُقـرّا بإعجاز القرآن له ولضُـربائه من المتحققين بالفـصاحة والقدرة على التكلم بجـميع أجناس القول وأنواعه.

ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

ومنها: الجزالة التي لا تـصح من مخلوق بحال، وتأمّل ذلك في سورة ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة. قـال ابن الحصار: فـمن علم أن الله سبـحانـه وتعالى هو الحق، علم أن مـثل هذه الجـزالة لا تصح في خطاب غيـره ولايصح من أعظم ملوك الدنيـا أن يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣].

قال ابـن الحصار: وهـذه الثلاثة من النّظم، والأسلوب، والجـزالة، لازمة كل سـورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسـموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التّحدّي والتـعجيز، ومع هذا فكل سـورة تنفرد بهذه الثلاثة، من غـير أن ينضاف إليهـا أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة «الكوثر» ثلاث آيات قصار، وهي أقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن مُغيـبيْن: أحدهما: الإخبار عن الكَوْثر وعظمه وسعـته وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدّقين به أكثر من أتبـاع سائر الرسل. والثاني: الإخبار عن الوليد بن المغـيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتـضيه قوله الحق: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾

وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٤] ثم أهلك الله ـ سبحانه ـ ماله وولده وانقطع نسله.

ومنها: التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

ومنها: الإخبار عن الأمور التي تقدّمت في أوّل الدنيا إلى وقت نزوله من أمّي ما كان يَتْلُو من قبله من كتاب، ولا يَخُطّه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدّوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم ـ وهو أميّ من أمة أميّة، ليس لها بذلك علم ـ بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه.

قال القاضي ابن الطيب: ونحن نعلم ضرورة: أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلّم وإذا كان معروفًا أنه لم يكن ملابسًا لأهل الآثار، وحملة الأخبار، ولا متردّدًا إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه عُلِم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوَحْي.

ومنها: الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى: أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه. وإلى وعد مقيّد بشرط، كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ، و ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وشبه ذلك.

ومنها: الإخبار عن المغيّبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]. ففعل ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزَى جيوشَه عرّفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنّجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقًا وغربًا، برًا وبحرًا، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] وقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] وقال: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١ ـ ٢]. فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا ربّ العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه.

ومنها: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

ومنها: الحِكَم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدميّ.

ومنها: التناسب في جميع ما تضمّنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قلت: فهـذه عشرة أوجـه ذكرها علماؤنا ـ رحـمة الله عليهم ـ ووجـه حادي عشـر قاله النّظّام وبعض القدرية: أن وجه الإعـجاز هو المنع من معارضته، والصَّرْفَـةُ عند التحدّي بمثله[1]. وأن المنع والصّرْفة هو المعجـزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معـارضته مع تحدّيهم بأن يأتوا بسورة من مثله. وهذا فـاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخـالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصّرْفة هو المعجز لخرج القـرآن عن أن يكون معجزًا، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك عُلِم أن نفس القرآن هو المُعْجِز؛ لأن فصاحـته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد قطّ كلامٌ على هذا الوجـه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفـًا معتادًا منهم، دلّ على أن المنع والصّـرفة لم يكن معجزًا. واختلف من قال بهذه الصّرْفـة على قولين: أحدهما: أنهم صُرِفوا عن القدرة عليه ولو تعرّضوا له لعجـزوا عنه. الثاني: أنهم صرِفوا عن التعرّض له مع كونه في مـقدورهم ولو تعرّضوا له لجاز أن يقدِروا عليه.

قال ابن عطية: وجه التحـدّي في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه، وتـوالي فصاحةِ ألفاظه. ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحاط بالكلام كله علمًا، فعلم بإحاطته أيّ لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبـيّن المعنى بعد المعنى، ثم كـذلك من أوّل القرآن إلى آخره، والبـشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلومٌ ضرورةً أنّ بَشَـرًا لم يكن محيطًا قطّ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة. وبهـذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصـوى من الفصاحة، فلما جاء محمد ﷺ صُـرِفوا عن ذلك، وعجزوا عنه. والصحيح: أن الإتيـان بمثل القرآن لم يكن قَطّ في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قـصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصـيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقـحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر بعده فيأخذهـا بقريحة جامّة فيبدّل فيها وينقّح، ثم لا تزال بعـد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله تعالى لو نُزِعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد.

ومن فصاحة القـرآن: أن الله تعالى جلّ ذكره، ذكر في آية واحدة أمريـن، ونهيين، وخبرين،

---

(١) هذه دعوى قديمة قال بهـا نسل من ملاحدة المعتزلة ـ قبـحهم الله ـ وهو إبراهيم النظام (ت٢٣١هـ) حيث حكى عنه الأشـعري (١/ ٢٢٥) في مقـالات الإسلاميين أنه قـال: «والأعجـوبة في القرآن ما فـيه من الأخـبار عن الغيوب، فأمّا التأليف والنظم، فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن منعهم بمنع وعجزٍ أحدثهما فيهم.. فلو خلاّهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بمثله بلاغة وفصاحة ونظمًا !!» انتهى.

قلت: وكذا قال الجعد بن درهم الملحد الذي ضحى به خالد القسرى (١١٨هـ) كما في الكامل (٥/ ١٦٠) لابن الأثير.

وللرد على هذه الفرية انظر ما يقوله القرطبي هـنا، ثم نورد قول الخطابي أبي سليمـان المتوفي (٣٨٨هـ) حين قال: «وقد بقي النبي ﷺ يطالب العرب قاطبة بمثل القـرآن مدة إحدى عشرة سنة مظهـرًا لهم النكير، زاريًا أديانهم، مسفـهًا آراءهم وأحلامهم، حـتى نابذوه وناصبوه الحرب، فـهلكت فيه النفـوس، وأريقت المهج، وقطعت الأرحـام وذهبت الأموال فلو كـان الإتيان بمثل القـرآن في وسعـهم وتحت أقدارهم لم يتكلـــفوا هذه الأمـور الخطيرة وقد كـان فيهم الخطباء المصاقعُ والشعراء المفلقون، وقد وصفـهم الله ـ تعالى ـ بالجدل واللدد فقـال سبـحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]، وقـال سبـحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧].

وبشارتين، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] ،وكذلك فاتحة سورة المائدة: أمر بالوفاء ونهي عن النكث، وحلل تحليلا عاما، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن حكمته وقدرته، وذلك مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وأنبأ سبحانه عن الموت، وحسرة الفوت، والدار الآخرة وثوابها وعقابها، وفوز الفائزين، وتردّي المجرمين، والتحذير من الاغترار بالدنيا، ووصفها بالقلة بالإضافة إلى دار البقاء بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ،وأنبأ أيضًا عن قصص الأوّلين والآخرين ومآل المترفين، وعواقب المهلكين، في شطر آية وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠] . وأنبأ جلّ وعزّ عن أمر السفينة وإجرائها وإهلاك الكفرة، واستقرار السفينة واستوائها، وتوجيه أوامر التسخير إلى الأرض والسماء بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] إلى غير ذلك.

فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت: إن النبي ﷺ تَقَوّله ؛أنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤] ثم أنزل تعجيزا أبلغ من ذلك فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣] فلما عجزوا حطّهم عن هذا المقدار، إلى مثل سورة من السّوَر القصار فقال جلّ ذكره: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] فأفحموا عن الجواب، وتقطّعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد، وآثروا سَبْيَ الحريم والأولاد ولو قدروا على المعارضة لكان أهْوَنَ كثيرا، وأبلَغ في الحجة وأشدّ تأثيرا. هذا مع كونهم أرباب البلاغة واللحن، وعنهم تؤخذ الفصاحة واللسن.

فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حدّ الإحسان والإجادة إلى حيّز الإرباء والزيادة. هذا رسول الله ﷺ مع ما أُوتي من جوامع الكلم، واختص به من غرائب الحكم، إذا تأمّلت قولَه ﷺ في صفة الجنان، وإن كان في نهاية الإحسان، وجدته منحطًا عن رتبة القرآن وذلك في قوله عليه السلام: «فيها ما لا عَيْنٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بَشَر»[1] فأين ذلك من قوله عزّ وجلّ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] . وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. هذا أعدل وزنا، وأحسن تركيبا، وأعذب لفظا، وأقل حروفا على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال المتصرف، وضاق المقال على القاصر المتكلف وبهذا قامت الحجة على العرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى عليه السلام على الأطباء، ومعجزة موسى عليه السلام على السحرة، فإن الله سبحانه إنما جعل معجزات الأنبياء عليهم السلام بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمان النبيّ الذي أراد إظهاره، فكان السحر في زمان موسى عليه السلام قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطّب في زمن عيسى عليه السلام، والفصاحة في زمن محمد ﷺ.

---

(١) صحيح : مسلم (٢٨٢٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

باب التنبيه على أحاديث
وضعت في فضل سُوَر القرآن وغيره[١]

لا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة، في فضل سُوَر القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال قد ارتكبها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها ، فمن قوم من الزنادقة مثل: المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة، وغيرهما، وضعوا أحاديث وحدّثوا بها ليوقعوا بذلك الشك في قلوب الناس فمما رواه محمد بن سعيد عن أنس بن مالك في قوله ﷺ:

«أنا خاتم الأنبياء لا نبيّ بعدي إلا ما شاء الله»[٢]، فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله : « الموضوع: هو الحديث المكذوب على النبي ﷺ يعني : هو الذي اصطنعه بعض الناس ونسبه إلى النبي ﷺ فإننا نسميه موضوعًا في الاصطلاح . وكلمة (موضوع) هل تعنى أن العلماء وضعوه ولم يلقوا له بالاً ؟ أم أن راويه وضعه على النبي ﷺ ؟

نقول : هو في الحقيقة يشملهما معًا ، فالعلماء وضعوه ولم يلقوا له أي بال ، وهو موضوع ، أي : وضعه راويه على النبي ﷺ » انتهى. شرح في المنظومة البيقونية ص ١٣١. وانظر: النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٨٣٨) .

قلت : وفي تنزيه الشريعة لابن عراق (ص ١٤٠) أن الوضاعين أصناف :

ـ الزنادقة وضعت الحديث بغرض إفساد الدين .

ـ أصحاب الأهواء والبدع لعزة مذهبهم .

ـ قوم اتخذوا الوضع صناعة وتشويقًا براءة على الله ورسوله .

ـ قوم ينسبون للزهد ، وضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب جهلاً منهم

ـ أصحاب الأغراض الدنيوية كالقصاصين والشحاذين .

ـ قوم حملهم الشر وحب الظهور على الوضع، فجعل بعضهم لذي الإسناد الضعيف إسنادًا صحيحًا .

ـ قوم يقع الموضوع في حديثهم ولم يتعمدوا الوضع .

وقال أيضًا : للحديث الموضوع أمارات يعرف بها ومنها :

ـ إقرار الوضاع بوضعه كحديث فضائل القرآن هنا .

ـ ما ينزل منزلة الإقرار كأن يعيد المتفرد بالحديث تاريخ مولده أو سماعه بما لا يمكن معه الأخذ عن شيخه أو أنه سمع في مكان تعليم أن الشيخ لم يدخله .

ـ أن يصرح بتكذيب راويه جمع كثير ، يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب .

ـ قرينة الحال للراوي كقصة غياث بن إبراهيم التي سيذكرها المصنف هنا .

ـ قرينة في المروي كمخالفته للعقل ـ للتاريخ ـ للكتاب ـ للسنة المتواترة .

ـ ركاكة اللفظ .

ـ الوعيد الشديد على أمر صغير ، أو الوعد العظيم على فعل حقير .

ـ كون الراوي رافضيًا والحديث في فضائل آل البيت .

والأخيرتان زادهما السيوطي (١/ ٢٧٦) في تدريب الراوي .

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٦٢)، وتدريب الراوي (١/ ٢٨٤) وهو من وضع الزنادقة ليجيزوا النبوة بعد انقطاعها كما قال السيوطي .

قلت: وقد ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» ولم يتكلم عليه بل تأوّل الاستثناء على الرؤيا فالله أعلم.

ومنهم قوم وضعوا الحديث لِهَوًى يدعون الناس إليه. قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إن هذه الأحاديث دِين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنّا كنا إذا هَوِينا أمرًا صيّرناه حديثا.

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حِسْبَةً (١) كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما رُوي عن أبي عِصمة نوح بن أبي مريم المَرْوَزِيّ، ومحمد بن عكاشة الكِرماني، وأحمد بن عبد الله الجُويبارِي، وغيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عِكرمة عن ابن عباس في فضل سُوَر القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومَغَازي محمد ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة. قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب «علوم الحديث» له: وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أُبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ في فضل القرآن سورة سورة وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثر الوضع عليه لبيّن. وقد أخطأ الواحديّ المفسّر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم.

ومنهم قوم من السؤّال والمُكذبين يقفون في الأسواق والمساجد، فيضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسانيد صحاحٍ قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلّى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرّصَافة، فقام بين أيديهما قاصٌّ فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا مَعْمر عن قَتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إِلَه إلا الله يُخلق من كل كلمة منها طائر منقاره من ذهب وريشه مرجان»(٢). وأخذ في قصة نحوا من عشرين ورقة؛ فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد فقال: أنت حدّثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به إلا هذه الساعة. قال: فسكتا جميعا حتى فرغ من قصصه، فقال له يحيى: من حدّثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ، فإن كان ولا بدّ من الكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، وما علمته إلا هذه الساعة، فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن مَعين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال: فوضع أحمد كُمّه على وجهه وقال: دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما. فهؤلاء الطوائف كَذَبَة على رسول الله ﷺ، ومن يجري مجراهم. يُذكر أن الرشيد كان يعجبه الحمَام واللّهو به فأُهدي إليه حمام وعنده أبو البَختَرِي القاضي فقال: روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا سَبَق إلا في

---

(١) انظر: الموضوعات (١/ ٢٤١) لابن الجوزي، والكفاية (٤٠١) للخطيب، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث (ص١٢٥) للعراقي

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح (٢٧٩)، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص (ص ٢٧٢) للسيوطي ـ تحقيق ـ د. محمد لطفي الصباغ.

خُفّ أو حافر أو جَناح»[١] فزاد: أو جناح، وهي لفظة وضعها للرشيد، فأعطاه جائزة سَنِيّة فلما خرج قال الرشيد: والله لقد علمت أنه كذاب، وأمر بالحمّام أن يذبح، فقيل له: وما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كُذب على رسول الله ﷺ، فترك العلماء حديثه لذلك، ولغيره من موضوعاته، فلا يكتب العلماء حديثه بحال.

قلت: لو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء؛ لكان لهم في ذلك غُنْية، وخرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «اتقوا الحديث عنّي إلا ما علمتم فمن كذب عليّ متعمّدا؛ فليتبوّأ مقعده من النار»[٢] الحديث. فتخويفه ﷺ أمته بالنار على الكذب، دليل على أنه كان يعلم أنه سيُكذب عليه. فحذارِ مما وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين، في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك، وأعظمهم ضررا أقوام من المنسوبين إلى الزهد، وضعوا الحديث حِسبة فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم، ثقة منهم بهم، وركونا إليهم، فضلّوا وأضلّوا.

باب: ما جاء من الحجة في الرّد على من طعن في القرآن وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان

لا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السّنّة: أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد ﷺ معجزةً له ـ على نحو ما تقدّم ـ وأنه محفوظ في الصدور، مقروءٌ بالألسنة، مكتوبٌ في المصاحف، معلومةٌ على الاضطرار سُوَرُه وآياته، مُبَرّأةٌ من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، فلا يحتاج في تعريفه بحدّ، ولا في حصره بعدّ. فمن ادّعى زيادة عليه أو نقصانا منه، فقد أبطل الإجماع، وبَهَت الناس، وردّ ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه، وردّ قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطل آية رسوله عليه السلام؛ لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدورا عليه، حين شِيب بالباطل، ولَمّا قدر عليه لم يكن حجة ولا آية، وخرج عن أن يكون معجزا.

فالقائل بأن القرآن فيه زيادة ونقصان رادّ لكتاب الله ولَمّا جاء به الرسول، وكان كمن قال: الصلوات المفروضات خمسون صلاة، وتزوّجُ تسع من النساء حلال، وفرض الله أياما مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لم يثبت في الدين، فإذا ردّ هذا بالإجماع، كان الإجماع على القرآن أثبت وآكد وألزم وأوجب.

قال الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري: ولم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلوّ منزلته، ما يوجبه الحق والإنصاف والديانة، وينفون عنه قول المبطلين،

---

(١) الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للشيخ أحمد شاكر (ص ٧١).

(٢) ضعيف: أحمد (١/ ٢٩٣) في المسند، والترمذي (٢٩٥١) في تفسير القرآن، وضعفه الألباني (١٧٨٣) في الضعيفة و(٢٣٥) في المشكاة.

قلت: ولكن توافر عنه ﷺ قوله: «من كذب عليّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار».

وتمويه الملحدين ، وتحريف الزائغين، حتى نبع في زماننا هذا زائغ زاغ عن الملة، وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التي لا يزال اللـه يؤيدها، ويثبت أُسّها وينمي فرعها، ويحرسـها من معايب أُولِي الجَنَف والجَوْر، ومكايد أهل العداوة والكفر.

فزعم أن المصـحف الذي جمعـه عثمان رضـي الله عنه ـ باتفاق أصحـاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيـما فعل ـ لا يشتمل على جميع القـرآن، إذ كان قد سقط منه خمسمـائة حرف، قد قرأت ببعضها وسأقـرأ ببقيتها، فمنها: «والعصر ونوائب الدهر» فقـد سقط من القرآن على جماعة المسلمين «ونوائب الدهر». ومنها: «حـتى إذا أخذت الأرض زخرفهـا وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليـها أتاها أمرنـا ليلاً أو نهارا فـجعلناها حـصيـدا كأن لم تغن بالأمس وما كـان الله ليهلكـها إلا بذنوب أهلها». فادعى هذا الإنسان أنه سقط على أهل الإسلام من القرآن: «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»، وذكر مما يدعي حروفا كثيرة.

وادّعى أن عثمان والصحابة رضي الله عنهم زادوا في القرآن ما ليس فيه، فقرأ في صلاة الفرض والناس يسمعون: «الله الواحد الصمد»، فـأسقط من القرآن «قل هو»، وغيّر لفظ «أحد»، وادّعى أن هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال، وقرأ في صلاة الفرض: «قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون» وطعن في قراءة المسلمين.

وادّعى أن المصحف الذي في أيدينا اشـتمل على تصحيف حـروف مفسدة مغيّرة، منها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فادّعى أن الحكمـة والعزة لا يشاكلان المغفرة، وأن الصواب: «وإن تغفـر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم». وترامى به الغيّ في هذا وأشكاله حتى ادّعى أن المسلمين يصحّفون: ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] والصواب الذي لم يغيّر عنده: « وكـان عبدًا لله وجيها»، وحـتى قرأ في صلاة مفترضـة على ما أخبرنا جماعـة سمعوه وشهـدوه: « لا تحرّك به لسانك إن علينا جـمعه وقراءته فـإذا قرأناه فاتبّع قـراءته ثم إن علينا نبأ به». وحكى لنا آخرون عن آخـرين أنهم سمـعوه يقرأ: «ولقـد نصركم الله ببدر بسـيف عَليّ وأنتم أذلة». وروى هؤلاء أيضًا لنا عنه قال: «هذا صراط عليّ مستـقيم». وأخبرونا أنه أدخل في آية من القرآن ما لا يضاهي فصاحـة رسول الله ﷺ، ولا يدخل في لسان قومه الذين قال اللـه عزّ وجلّ فيهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] فقـرأ: أليس قلت للناس في موضع: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] وهذا لا يعرف في نحو المعربين، ولا يحمل على مذاهب النحويين؛ لأن العرب لم تقل: ليس قمت، فأما: لست قـمت ـ بـالتاء ـ فشاذ قبيح خبيـث رديء؛ لأن ليس لا تجحد الفعل الماضي، ولم يجد مثل هذا إلا في قولهم: أليس قد خلق الله مثلهم وهو لغة شاذة لا يُحمل كتاب الله عليها.

وادّعى أن عثمان رضي الله عنه لما أسند جـمع القرآن إلى زيد بن ثابت لم يُصب ؛ لأن عبد الله ابن مسعود وأُبيّ بن كعب كانـا أولى بذلك من زيد لقول النبيّ ﷺ: «أقرأ أمّتي أُبيّ بن كعب»(١) ، ولقوله عليه السلام: «مَن سرّه أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أُمّ عَبْد»(٢). وقال هذا القائل: لي أن أخالف مصحف عثمان كما خـالفه أبو عمرو بن العلاء، فقرأ: «إنّ هذيْن»، «فاصدق

(١، ٢) صحيحان : وقد سبقا.

وأكون»، «وبشر عـبادي الذين» بفتح اليـاء، «فما أتاني الله» بفتح اليـاء. والذي في المصحف: ﴿إِنْ هَذَانِ﴾ [طه:٦٣] الألف، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون:١٠] بغير واو، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧]، ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾ [النمل:٣٦] بغيـر ياءين في الموضعين. وكـما خالـف ابن كثيـر ونافع وحمـزة والكسائي مصحف عثمان فقرؤوا: «كَذَلِكَ حَقًّا عَـلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ» بإثبات نونين، يفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم، وفي المصـحف نونَ واحدة وكما خالـف حمزة المصحف فقـرأ: «أَتَمُدُّونِ بمال» بنون واحدة ووقف على الياء، وفي المصحف نونان ولا ياء بعدهما ،وكما خالف حمزة أيضًا المَصحف فقرأ: «ألا إنّ ثمودَا كفروا ربّهم» بغير تنوين، وإثبات الألف يوجب التنوين وكل هذا الذي شنّع به على القرّاء ما يلزمهم به خلافٌ للمصحف.

قلت: قد أشرنا إلى العـدّ فيما تقدّم مما اخـتلفت فيه المصاحف، وسيـأتي بيان هذه المواضع في مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: وذكر هذا الإنسان أن أبيّ بن كعـب هو الذي قرأ: «كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها» وذلك باطل ؛لأن عبد الله بن كَثير قرأ على مجاهد، ومجاهد قرأ على ابن عـباس، وابن عـباس قـرأ القرآن على أُبيّ بن كـعب ﴿حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ﴾ [يونس:٢٤] ، في رواية وقرأ أُبيّ القرآن على رسول الله ﷺ وهذا الإسناد متّصل بالرسول عليه السلام نقله أهل العدالة والصّيانة، وإذا صح عن رسول الله ﷺ أمرٌ لم يؤخـذ بحديث يخالفه. وقال يحيى ابن المبارك اليـزيدي: قرأت القـرآن على أبي عمرو بن العـلاء، وقرأ أبو عـمرو على مجـاهد، وقرأ مجاهد على ابن عبـاس، وقرأ ابن عباس على أُبيّ بن كعب، وقرأ أُبَيّ على الـنبيّ ﷺ، وليس فيها «وما كان الله ليهلكهـا إلا بذنوب أهلها» ،فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها الله تعـالى على نبيّه عليه السلام فليس بكافر ولا آثم.

حدّثني أُبيّ نَبّأنا نصر بن داود الصاغاني، نبأنا أبو عـبيد قال: ما يُروَى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع من الحـروف التي يعرف أسانيدَها الخاصةُ دون العامة فـيما نقلوا فيه عن أُبَيّ: «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»، وعن ابن عـباس: «ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج». ومما يحكون عن عمـر بن الخطاب أنه قرأ: «غير المغضوب عـليهم وغير الضالين»[1] مع نظائر لهذه الحروف كـثيرة، لم ينقلها أهل العلم علـى أن الصلاة بها تحلّ، ولا على أنها مـعارَض بها مـصحف عثمـان؛ لأنها حروف لو جـحدها جاحـد أنها من القرآن لم يكن كـافرًا والقرآن الذي جمـعه عثمـان بموافقة الصحابة له لو أنكـر بعضه منكر كان كافـرًا، حكمه حكم المرتد يُستتاب ، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه. وقال أبو عبيد: لم يزل صَنيع عثمان رضي الله عنه في جمعه

(١) القراءات المأثورة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ـ تفسر على النحو التالي :
ـ إمّا أنها قراءة صحيحة متواترة من السبع أو العشر .
ـ أو هي قراءة شاذة ، فإذا صحّ الإسناد إليه تُحمل على أنها قراءة تفسيرية .
ـ أو هي قراءة للصحابي بلهجته الخاصة (الهذيلية) لابن مسعود رضي الله عنهما .
وانظر : تاريخ القرآن (ص ١٦٢) للدكتور عبد الصبور شاهين .
وقول الدكتور مصطفى زيد (٢/ ٦٩٨) في النسخ في القرآن .
والدكتور محمد بلتاجي ـ عميد دار العلوم الأسبق رحمه الله ـ في كتابه دراسات في التفسير .

القـرآن يُعتـدّ له بأنه من مناقـبه الـعظام ، وقد طعن علـيه فـيه بعض أهل الـزَّيْغ فانكشف عـواره، ووضحت فضائحه. قال أبو عبيد: وقد حدّثت عن يزيد بن زُرَيع عن عمران بن جرير عن أبي مِجْلَز قال: طعن قوم على عثمـان رحمه الله ـ بحُمْقهم ـ جَمْعَ القرآن، ثم قـرؤوا بما نُسخ. قال أبو عبيد: يذهب أبو مجلز إلى أن عـثمان أسقـط الذي أسقط بعلم كما أثبت الـذي أثبت بعلم. قال أبو بكر: وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالة على كفر هذا الإنسان ؛ لأن الله عزّ وجلّ قد حفظ القرآن من التغييـر والتبديل، والزيادة والنقصان فإذا قرأ قارئ: «تَبّت يَدَا أبي لهب وقد تَبّ ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب ومُرَيّته حمالة الحطب في جيدها حبل من ليف» فقد كَذَب على الله جلّ وعلا وقَوّله ما لم يقل، وبدّل كـتابه وحرّفه، وحاول ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد، ليُدخلوا في القرآن ما يَحلّون به عُرا الإسلام، ويَنسُبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم. وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسـلام، وبثبـاته تقام الصلوات، وتُؤدّى الزكـوات وتتحرّى المتـعبّـدات. وفي قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١] دلالة على بدعة هـذا الإنسان وخروجـه إلى الكفر؛ لأن معنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ : منع الخلق من القـدرة على أن يزيدوا فيـها، أو ينقصـوا منها أو يعـارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسان زاد فيها: «وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ وكان الله قويًا عزيزا». فقال في القرآن هجرًا. وذكر عليّـا في مكان لو سمعه يذكره فيه لأمضى عليـه الحد، وحكم عليه بالقتل. وأسقط من كـلام الله «قل هو» وغيّر «أحد» فـقرأ: الله الواحد الصـمد. وإسقاط مـا أسقطه نَفْيٌ له وكُفر، ومَن كفر بحرف من القرآن فقد كـفر به كله وأبطل معنى الآية ؛لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابـا لأهل الشرك لمّا قـالوا لرسول الله ﷺ: صِفْ لنَا ربّك، أمن ذهب أم من نـحاس أم من صُفْر؟ فقال الله جلّ وعزّ ردّا عليهم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ، ففي «هو» دلالة على موضع الردّ ومكان الجـواب فإذا سـقط بطل مـعنى الآية، ووضح الافتـراء على الله عـزّ وجلّ، والتكذيب لرسول الله ﷺ.

ويقال لهذا الإنسان ومَن ينتحل نصرته: أخـبرونا عن القرآن الذي نقرؤه ولا نعرف نحن ولا مَنْ كان قـبلنا من أسلافنا سواه هل هو مشـتمل على جمـيع القرآن من أوّله إلى آخره، صحـيح الألفاظ والمعاني عارٍ عن الفـساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن والبعض الآخر غائب عـنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدّمين من أهل ملّـتنا؟ فإن أجابوا بأن القرآن الذي معنا مشتـمل على جميع القرآن لا يسقط منه شيء، صحيح اللفظ والمعاني، سليمها من كل زلل وخلل، فقد قضوا على أنفسـهم بالكفر حين زادوا فيـه «فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غِسْلين من عين تجري من تحت الجحيـم» فأيّ زيادة في القرآن أوضح من هذه! وكيف تخلـط بالقرآن وقد حرسـه الله منها ومنع كل مُفْتر ومُبْطل من أن يلحق به مثلها؟! وإذا تُؤمّلتْ وبُحث عن معناها وُجـدت فاسدة غير صحيحة، لا تشاكل كـلام البارئ تعالى ولا تختلط به، ولا توافق مـعناه، وذلك أن بعدها ﴿لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧] فكيف يؤكل الشراب، والذي أتى به قبلها: «فليس له اليـوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجـري من تحت الجحيم لا يأكله إلا الخـاطئون». فهـذا متناقض يفسد بعـضه بعضـا، لأن الشراب لا يؤكل، ولا تقول العـرب: أكلت الماء لكنهم يقولون: شربتـه وذقته وطعمـته ومعناه فيما أنزل الله تبارك وتعالى على الصـحة في القرآن الذي مَن خالف حَرْفًا منه كفر. ﴿وَلا طَعَامٌ

﴿إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] لا يأكل الغسلين إلا الخاطئون أو لا يأكل الطعام إلا الخاطئون. والغسلين: ما يخرج من أجوافهم من الشحم وما يتعلق به من الصّديد وغيره، فهذا طعامٌ يؤكل عند البَلِيّة والنّقمة، والشراب محال أن يؤكل. فإن ادّعى هذا الإنسان أن هذا الباطل الذي زاده من قوله «من عين تجري من تحت الجحيم» ليس بعدها ﴿لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧] ونفي هذه الآية من القرآن لتَصح له زيادته، فقد كفر لما جحد آية من القرآن. وحسبك بهذا كله ردّا لقوله، وخزيا لمقاله، وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا وكذا إنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يُتلى، وكذلك ما نُسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن على ما يأتي بيانه عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] إن شاء الله تعالى.

القول في الاستعاذة

وفيها اثنتا عشرة مسألة:

الأولى: أمرَ الله تعالى بالاستعاذة عند أوّل كل قراءة فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أي: إذا أردت أن تقرأ؛ فأوقع الماضي موقع المستقبل كما قال الشاعر:

وإني لآتيكم لذكرى الذي مضى ... من الودّ واستئناف ما كان في غَدِ

أراد ما يكون في غد؛ وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، وأن كل فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم أيهما شئت؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]. المعنى: فتدلى ثم دنا؛ ومثله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وهو كثير.

الثانية: هذا الأمر على الندب في قول الجمهور في كل قراءة في غير الصلاة. واختلفوا فيه في الصلاة. حكى النقّاش عن عطاء: أن الاستعاذة واجبة. وكان ابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في الصلاة كل ركعة، ويمتثلون أمر الله في الاستعاذة على العموم، وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة؛ ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان.

الثالثة: أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه، وهو قول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ؛ لأنه لفظ كتاب الله تعالى. ورُوي [1] عن ابن مسعود أنه قال: قلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم؛ فقال لي النبي ﷺ: «يا بن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم».

الرابعة: روى أبو داود وابن ماجه في سُنَنهما عن جُبَير بن مُطْعِم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلّي صلاة فقال عمرو: لا أدري أي صلاة هي؟ فقال: «الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً ـ ثلاثاً ـ الحمد لله

(١) تسمى هذه الصيغة: صيغة (التمريض)، وبها يضعف الحديث.

كثيراً الحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نَفْخه ونَفْثه وهَمْزه»[١]. قال عمرو: هَمْزُهُ، المُوْتَةُ، ونَفْثُه الشِّعر، ونَفْخُه الكِبْر. وقال ابن ماجه: المُوْتَة يعني الجنون. والنَّفْث: نفخ الرجل من فيه من غير أن يخرج ريقه. والكِبر: التِّيهُ. وروى أبو داود عن أبي سعيد الخُدْري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبّر ثم يقول: «سبحانك اللّهُم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدّك ولا إله غيرك» ثم يقول: «لا إله إلا الله» ثلاثاً ثم يقول: «الله أكبر كبيراً ثلاثاً أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه» ثم يقرأ[٢]. وروى سليمان بن سالم عن ابن القاسم رحمه الله أن الاستعاذة: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم. قال ابن عطية:

وأما المقرئون فأكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى، كقول بعضهم: أعوذ بالله المجيد، من الشيطان المريد؛ ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة، ولا أقول: إنه لا يجوز[٣].

الخامسة: قال المَهْدَوِيّ: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة في أول سورة الحمد إلا حمزة فإنه أسرها. وروى السدي عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة. وذكر أبو الليث السَّمَرْقَنْدِي عن بعض المفسرين أن التعوذ فرض، فإذا نسيه القارئ وذكره في بعض الحزب قطع وتعوذ، ثم ابتدأ من أوله. وبعضهم يقول: يستعيذ ثم يرجع إلى موضعه الذي وقف فيه؛ وبالأول قال أسانيد الحجاز والعراق؛ وبالثاني قال أسانيد الشام ومصر.

السادسة: حكى الزَّهراويّ قال: نزلت الآية في الصلاة وندبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض. قال غيره: كانت فرضاً على النبي ﷺ وحده، ثم تأسينا به.

السابعة: روي عن أبي هريرة أن الاستعاذة بعد القراءة؛ وقاله داود. قال أبو بكر بن العربي: انتهى العي بقوم إلى أن قالوا: إذا فرغ القارئ من قراءة القرآن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم[٤]. وقد روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة؛ وهذا نص. فإن قيل: فما الفائدة في الاستعاذة من الشيطان الرجيم وقت القراءة؟ قلنا: فائدتها امتثال الأمر؛ وليس للشرعيات فائدة إلا القيام بحق الوفاء لها في امتثالها أمراً أو اجتنابها نهياً؛ وقد قيل: فائدتها امتثال الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]. قال ابن العربي: ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨] قال: ذلك

---

(١) ضعيف: أبو داود (٧٦٤) في الصلاة، وابن ماجه (٨٠٧) في إقامة الصلاة وضعفه الألباني (٨١٧) في المشكاة.
(٢) صحيح: أبو داود (٧٧٥) في الصلاة، والترمذي (٢٤٢) في الصلاة، وصححه الألباني هناك، وأحمد (٣/ ٥٠، ٦٩) في المسند.
(٣) انظر: الإتقان (١/ ٢٩٢) للسيوطي.
(٤) انظر: أحكام القرآن (٥/ ٢٠٣) لابن العربي المالكي.

بعد قراءة القرآن لمن قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر؛ فإن كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذة بعد القراءة، كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة، ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه؛ فالله أعلم بسر هذه الرواية(١).

الثامنة: في فضل التعوذ: روى مسلم عن سليمان بن صُرَد قال: استَبّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه؛ فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال: هل تدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً؟ قال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقال له الرجل: أمجنوناً تراني! أخرجه البخاري أيضاً (٢). وروى مسلم أيضاً عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبّسها عليّ، فقال له رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خَنْزَب فإذا أحسستَه فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت فأذهبه الله عني(٣). وروى أبو داود عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل عليه الليل قال: «يا أرضُ ربّي وربّك الله أعوذ بالله من شرّك ومن شرّ ما خلق فيك ومن شر ما يَدِبّ عليك ومن أسد وأسْود ومن الحية والعقرب ومن ساكني البلد ووالد وما ولد»(٤). وروَتْ خَوْلة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق لم يضرّه شيء حتى يرتحل»(٥). أخرجه المُوَطّأ ومسلم والترمذيّ وقال: حديث حسن غريب صحيح. وما يُتعوّذ منه كثير ثابت في الأخبار؛ والله المستعان.

التاسعة: معنى الاستعاذة في كلام العرب: الاستجارة والتحيّز إلى الشيء، على معنى الامتناع به من المكروه؛ يقال: عُذت بفلان واستعذت به؛ أي لجأت إليه. وهو عياذي؛ أي ملجئي. وأعذت غيري به وعوّذته بمعنىً. ويقال: عَوْذٌ بالله منك؛ أي أعوذ بالله منك؛ قال الراجز:

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْر عَوذٌ بربّي منكُم وحُجْرُ

---

(١) قال النووي: «ثم إن التعوذ مستحب ليس بواجب، وهو مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو غيرها، ويستحب في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين عند أصحابنا، وعلى الوجه الثاني إنما يستحب في الركعة الأولى، فإن تركه في الأولى أتى به في الثانية، ويستحب التعوذ في التكبيرة الأولى من صلاة الجنازة على أصح الوجهين» انتهى. التبيان (ص ٣٥) بتحقيقي.
وقال في المجموع (٢/ ١٩٠): «فلو مرّ على قوم سلّم عليهم وعاد إلى القراءة، فإن أعاد التعوذ كان حسنًا» قال: وصفته المختارة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وكان جماعة من السلف يزيدون: «السميع العليم» انتهى.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦١١٥) في الأدب، ومسلم (٢٦١٠) في البر والصلة، وفيه: (إني لست بمجنون).

(٣) صحيح: مسلم (٢٢٠٣) في السلام.

(٤) ضعيف: أبو داود (٢٦٠٣) في الجهاد، وضعفه الألباني هناك، ورواه أحمد (٢/ ١٣٢) في المسند.

(٥) صحيح: مسلم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء، والترمذي (٣٤٣٧) في الدعوات، ومالك في الموطأ حديث (٣٤) في الاستئذان.

والعرب تقول عند الأمر تنكره: حُجْراً له (بالضم) أي: دفعاً، وهو استعاذة من الأمر. والعوذة والمعـاذة والتعـويذ كله بمعنىً. وأصل أعوذ: أعْـوُذ نقلت الضـمة إلى العين لاسـتثـقالهـا على الواو فسكنت.

العـاشرة: الشيطـان واحد الشيـاطين؛ على التكسيـر والنون أصلية، لأنه من شَطَـن إذا بَعُدَ عن الخير. وشطنت داره، أي: بعدت؛ قال الشاعر:

نأتْ بسعادَ عنك نَوىً شَطُونُ فبانتْ والفؤادُ بها رهينُ

وبئر شَطُون، أي: بعـيدة القـعر. والشَّطَن: الحبل؛ سُـمّيَ به لبعـد طرفيه وامـتداده. ووصف أعرابي فرسـا (لا يَحفَى) فقال: كأنه شـيطان في أشْطان. وسُمّيَ الشيطان شيطـاناً؛ لبعده عن الحق وتمرّده؛ وذلك أن كل عات متمرّدٍ من الجنّ والإنس والدواب شيطان؛ قال جرير:

أيامَ يدعونَّني الشّيطانَ من غَزَلٍ وهُنّ يَهْوَيْنني إذ كنتُ شيطاناً

وقيل: إن شيطاناً مأخوذ من شاط يشـيط إذا هلك، فالنون زائدة. وشاط: إذا احترق. وشيّطت اللحم: إذا دخنته ولم تـنضجه. واشتـاط الرجل: إذا احتدّ غـضباً. وناقـة مِشيـاط التي يطير فيـها السِّمَن. واشتاط: إذا هلك؛ قال الأعشى:

قد نَخضِبُ العَيْر من مكنون فائله وقد يَشِيط على أرماحنا البَطَلُ

أي: يهلك. ويردّ على هذه الفرقة: أنّ سيبويه حكى أن العرب تقول: تَشَيْطن فلان: إذا فعل أفعال الشيـاطين، فهذا بيّن أنه تفيعل من شطن، ولو كان من شاط لقـالوا: تشيّط، ويردّ عليهم أيضاً بيت أُمَيّة بن أبي الصَّلْت:

أيُّما شاطنٍ عَصَاه عكَاه ورماه في السجن والأغلال

فهذا شاطن من شطن لا شك فيه.

الحادية عـشرة: الرجـيم، أي: المبعد من الخـير المهـان. وأصل الرجم: الرمي بالحجـارة، وقد رجمته أرجـمه، فهو رجيم ومرجوم. والرجم: القتل واللعـن والطرد والشتم، وقد قيل هذا كله في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦]. وقول أبي إبراهيم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم:٤٦]. وسيأتي إن شاء الله تعالى.

الثانيـة عشرة: روى الأعمش عن أبي وائل عن عبـد الله قال: قال علي بن أبي طالب: رأيت النبي ﷺ عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه، قلت: ومن هذا الذي تلعنه يا رسول الله؟ قال: «هذا الشيطان الرجيم» فقلت: يا عدو الله، والله لأقتلنك ولأريحن الأمة منك؛ قال: ما هذا جـزائي منك؛ قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله؟ قال: والله مـا أبغضك أحد قط إلا شركت أباه في رَحِم أمه(١).

---

(١) موضوع: انظر: تنزيه الشريعة (١/ ٣٦٠) لابن عراق، وذكره الخطيب البغدادي (٣/ ٢٩٠) في تاريخ بغداد.

وقال الخطيب البغدادي: «وفيه إسحاق وهو الأحمر وكان من الغلاة وإليه تنسب الطائفة المعروفة بـ (الإسحاقية) وهي ممن يعتـقـد علـى الإلهـيـة» انتـهى.

وفي ميزان الاعتدال (١/ ٣٥٠) للذهبي قال: «وهذا لعله من وضع إسحاق الأحمر» انتهى.

البسملة

وفيها ثمان وعشرون مسألة (١):

الأولى: قال العلماء : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَسَمٌ من ربنا أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده: إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري. و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مما أنزله الله تعالى في كتابنا وعلى هذه الأمة خصوصا بعد سليمان عليه السلام. وقال بعض العلماء: إن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تضمنت جميع الشرع؛ لأنها تدل على الذات وعلى الصفات، وهذا صحيح.

الثانية: قال ابن أبي سكينة: بلغني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلي رجل يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال له: جودها فإن رجلا جودها فغفر له(٢). قال سعيد: وبلغني أن رجلا نظر إلى قرطاس فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقبله ووضعه على عينيه فغفر له. ومن هذا المعنى قصة بِشْر الحافي، فإنه لما رفع الرقعة التي فيها اسم الله وطيبها طيب اسمه، ذكره القشيري(٣). وروى النسائي عن أبي المليح عن ردف رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا عثرت بك الدابة فلا تقل: تعس الشيطان، فإنه يتعاظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صنعته ولكن قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب»(٤). وقال علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[الإسراء: ٤٦]. قال معناه: إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وروى وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد(٥). فالبسملة تسعة عشر حرفا على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]. وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فمن هنالك هي قوتهم، وببسم الله استضلعوا. قال ابن عطية: ونظير هذا قولهم في ليلة القدر: إنها ليلة سبع

---

(١) في المطبوعات: « سبع وعشرون مسألة »، والمذكور (٢٨) مسألة، فصوبتها حسب ما ذكرها الإمام القرطبي ـ رحمه الله.

(٢) ضعيف: وابن أبي سُكينة هذا لم يدرك عليًا رضي الله عنه. ورواه السيوطي بنحوه في الدر المنثور (١/ ٢٤) برقم (١٣٢) بتحقيقي وترقيمي.

(٣) القصة عند القشيري (١/ ٢٣) في الرسالة القشيرية، ط. مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.
وبشر هذا هو أبو نصر: بشر بن الحارث أحد أئمة الزهد والورع، وكان محدثًا عاصر الإمام أحمد. (ت٢٢٧هـ).

(٤) صحيح: أحمد (٥/ ٥٩)، وجوده ابن كثير (١/ ٨٦) في البداية والنهاية، ورواه أبو داود (٤٩٨٢) في الأدب، وصححه الألباني هناك. ط الرياض.

(٥) ذكره ابن كثير (١/ ١٨) في التفسير وعزاه القرطبي هنا له ولابن عطية.
قلت: وكأنما مال إلى قبوله رغم أنه من جهة الرأى لا سند له. وانظر تعقيب ابن عطية كما سيذكره المصنف هنا.

وعشـرين، مراعـاة للفظة ﴿هِيَ﴾ من كلمـات سورة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ . ونظيـره أيضا قولهـم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمـد حمدا كثيرا طيبا مباركا فـيه، فإنها بضعة وثلاثون حرفا، فلذلك قال النبي ﷺ: «لقد رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»[(١)]. قال ابن عطية: وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم.

الثالثة: روى الشعبي والأعمش أن رسول الله ﷺ كـان يكتب باسمك اللهم حتى أمر أن يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فكتبها، فلما نزلت ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] . كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فلما نزلت ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] كتبها[(٢)]. وفي مصنف أبي داود قال الشـعبي وأبو مـالك وقتـادة وثابت بن عمـارة: إن النبي ﷺ لم يكتب بسم الله الرحـمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل[(٣)].

الرابعة: روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: البسملة تيجان السور.

قلت: وهذا يدل على أنها ليست بآية من الفاتحة ولا غـيرها. وقد اختلف العلماء في هذا المعنى على ثلاثة أقوال:

الأول: ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها، وهو قول مالك.

الثاني: أنها آية من كل سورة، وهو قول عبد الله بن المبارك.

الثالث: قال الشافعي: هي آية في الفاتحة، وتردد قـوله في سائر السور، فمرة قال: هي آية من كل سورة، ومرة قال: ليست بآية إلا في الفاتحـة وحدها. ولا خلاف بينهم في أنها آية من القرآن في سورة النمل[(٤)].

واحتج الشافـعي بما رواه الدَّارَقُطْنِيّ من حديث أبي بكر الحنفي عن عبـد الحميد بن جـعفر عن نوح بن أبي بلال عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فـاقرؤوا بسم الله الرحـمن الرحيم ، إنها أم القـرآن، وأم الكتاب ،والسـبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها»[(٥)]. رفع هذا الحديث عبدالحميد بن جـعفر، وعبدالحميد هذا وثقه أحمد بن حنبل ويحـيى بن سعيد ويحيى بن معين، وأبو حاتم يقول فـيه: محله الصدق، وكان سفيان الثوري يضعفه ويحمل عليه. ونوح بن أبي بلال ثقة مشهور.

---

(١) صحيح : أحمد (٤/ ٣٤٠) .

(٢، ٣) مرسلان : عون المعبود (٢/ ٣٥٣) وقال : « قال المنذري : وهذا مرسل» .

(٤) انظر: الإتقان (١/ ٢٩٣) للسيوطي . بتحقيقي ط دار الفجر . والمغنى (١/ ٢٨٥) لابن قدامة .

(٥) صححه الألباني وهو ضـعيف للاختلاف في وقفه ورفعه ، فقد قال أبـو بكر الحنفي : ثم لقيت نوحًا فحدثني به سعيـد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هـريرة مثله ولم يرفعه كذا في سنن الدَّارَقُطْنِيّ (١/ ٣١٢) ،وعند البـيهقي (٢/ ٤٥) في السنن الكبرى . ثم عبد الحميد بن جعفر مختلف في توثيقه .
وكان حجة الشيخ الألباني : أن نوحًـا ثقة ومن دونه كذلك ، والموقوف لا يعل المرفوع ، لأن الراوي قد يوقف الحديث أحيانًا فإذا رواه مرفوعًا ـ وهو ثقة ـ فهـو زيادة يجب قبولها منه . والله أعلم . كذا في الصحيحة (٣/ ١٧٩، ١٨٠) برقم (١٨٨٣) وجاء له بشواهد عند البخاري وأبي داود .

وحجة ابـن المبارك وأحد قولي الشـافعي ما رواه مسلم عن أنس قـال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت علي آنفا سورة» فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وذكر الحديث[1]، وسيأتي بكامله في سورة « الكوثر» إن شاء الله تعالى.

الخامسة: الصحيح من هذه الأقـوال قول مالك؛ لأن القرآن لا يثبت بأخبـار الآحاد وإنما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فـيه. قال ابن العربي: **ويكفيك أنها ليـست من القرآن اختلاف الناس** فيها، والقرآن لا يختلف فيه والأخبار الصحاح التي لا مطعن فيها **دالة على أن البسملة ليست** بآية من الفاتحـة ولا غيرها إلا في الـنمل وحدها. روى مسلم عن أبي هريـرة قال: سمـعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصـفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبـدي، وإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجدني عـبدي - وقال مرة: فوض إلي عبدي - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعـبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعـبدي ما سأل»[2]. فقوله سبـحانه: «قسمت الصلاة» يريد الفاتحـة، وسماها صلاة؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجـعل الثلاث الآيات الأول لنفسه، واختص بها تبـارك اسمه، ولم يختلف المسلمون فيـها. ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عـبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاسـتعانة منه، وذلك يتـضمن تعظيـم الله تعالى، ثم ثلاث آيات تتـمـة سبع آيات. ومما يدل على أنهـا ثلاث قوله: «هؤلاء لعبدي» أخرجـه مالك، ولم يقل: هاتان، فهذا يدل على أن ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية. قال ابن بكير: قـال مالك: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ثم الآية السابعـة إلى آخرها. فثـبت بهذه القسـمة التي قسمها الله تعالى وبقوله عليه السلام لأبي: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال: فقرأت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى أتيت على آخرها[3] أن البسملة ليست بآية منها، وكذا عد أهل المدينة وأهل الشام وأهل البصرة، وأكـثر القراء عدوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، وكذا روى قتادة عن أبي نضرة عن أبي هريرة قال: الآية السادسة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وأما أهل الكوفة من القراء والفقهـاء فإنهم عدوا فيها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولم يعدوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

فإن قيل: فإنها ثبتت في المصحف وهي مكتوبة بخطه ونقلت نقله، كما نقلت في النمل، وذلك

---

(١) صحيح: مسلم (٤٠٠) في الصلاة.

(٢) صحيح: مسلم (٣٩٥) في الصلاة.

(٣) منقطع: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٥٧): «وَوَهِمَ ابن الأثير حيث ظن أن أبا سعيد شيخ العلاء هو أبو سعيد بن المعلى، فإن ابن المعلى صحابي أنصاري من أنفسهم مدني، وذلك تابعي من موالى قريش».
قلت: وذكره ابن كثير (١/ ١٣) في التفسير وقال: «وهذا ظاهره منقطع».
وقد رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب (٨) رقم (٣٧) بتـحقيقي، وهو موصول عند البخاري (٤٤٧٤) في التفسير، عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

متواتر عنهم. قلنا[١]: ما ذكرتمـوه صحيح، ولكن لكونها قـرآناً أو لكونها فاصلة بين السـور - كما روي عن الصحابة: كنا لا نعرف انقـضاء السورة حتى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أخرجه أبو داود - أو تبركا بها، كمـا قد اتفقت الأمة على كتبها في أوائل الكتب والرسـائل؟ كل ذلك محتمل. وقد قال الجريري: سـئل الحسن عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: في صـدور الرسائل. وقـال الحسن أيضا: لم تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾في شيء من القرآن إلا في ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . والفـيصـل أن القرآن لا يثـبت بالنظر والاسـتـدلال، وإنما يثـبت بالنقل المتـواتر القطعي الاضطراري. ثم قد اضطرب قول الشـافعي فيها في أول كل سورة فـدل على أنها ليست بآية من كل سورة؛ والحمد لله.

فإن قيل: فقد روى جـماعة قرآنيتها، وقد تولى الدَّارَقُطْنِيّ جمـع ذلك في جزء صححه. قلنا: لسنا ننكر الرواية بذلك وقد أشرنا إليهـا، ولنا أخبار ثابتة في مقابلتها، رواها الأئمة الثـقات والفقهاء الأثبات. روت عائشة في صحيح مسلم قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب الـعالمين، الحديث[٢]. وسيأتـي بكماله. وروى مسلم أيضا عن أنس بن مـالك قال: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين؛ لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا في أول قراءة ولا في آخرها [٣].

ثم إن مذهبنا يتـرجح في ذلك بوجه عظيم، وهو المعـقول؛ وذلك أن مسجـد النبي ﷺ بالمدينة انقضت عليه العصور، ومـرت عليه الأزمنة والدهور، من لدن رسول الله ﷺ إلى زمان مالك، ولم يقرأ أحد فيه قط ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اتباعا للسُّنّة؛ وهذا يردّ أحاديثكم.

بيد أن أصحابنا اسـتحبوا قراءتها في النفل وعليه تحمل الآثار الواردة في قـراءتها أو على السَّعة في ذلك. قال مالك: ولا بأس أن يقرأ بها في النافلة ومن يعرض القرآن عرضاً.

---

(١) ذكر الإمـام النووي ـ رحمـه الله : « أن البسـملة آية كاملة من كل سـورة غيـر براءة على الصحيـح من مذهب الشافعية ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ،وابن الزبير ،وطاوس ،وعطاء ، ومكحول ، وابن المنذر ، ووافق الشافعي على كونـها آية من الفاتحة أحمد ، وإسحـاق ،وأبو عبيد ،وجماعة من أهل الـكوفة ومكة وأكثر أهل العراق وغيـرهما . وهناك من العلماء من قال : إنها ليـست بآية من الفاتحة وغيرها . وقـال أحمد : هي آية في أول الفاتحـة وليست بقرآن في أوائل السـور . وعنه رواية أخرى: أنها ليـست من الفاتحة أيضًـا . وقال أبو بكر الرازي من الحنفية : إنها آية بين كل سـورتين غير الأنفال وبراءة وليست من السور ،واحتج الشـافعية ومن نهج نهجهم على أنها آية كاملة من أول كل سورة بأن الصحـابة رضى الله عنهم أجمعوا على إثباتها في المصحف في أوائل السّور سوى براءة . فلو لم تكن قرآنا لما اسْـتَجَازوا إثباتها بخط المصحف من غيـر تمييز؛ لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن فيكونون مغررين بالمسلمين حامـلين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنًا، فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم ، فإن قيل : لعلها أثبتت للفصل بين السور ؟ فالجواب من وجهين :

الأول:أن هذا فيه تغرير ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل .

الثاني : أنها لو كانت للفصل لكتبت بين « الأنفال وبراءة » ولما حـسن كتابتها في أول « الفاتحة » . راجع : آراء الفقهاء بالتفصيل في المجموع للنووي (٣/ ٣٣٤) .

(٢) صحيح : مسلم (٤٩٨/ ٢٤٠) في الصلاة .

(٣) صحيح : مسلم (٣٩٩/ ٥٠ ـ ٥٢) في الصلاة .

وجملة مذهب مالك وأصحابه: أنها ليست عندهم آية من فاتحة الكتاب ولا غيرها، ولا يقرأ بها المصلي في المكتوبة ولا في غيرها سراً ولا جهراً؛ ويجوز أن يقرأها في النوافل. هذا هو المشهور من مذهبه عند أصحابه. وعنه رواية أخرى أنها تقرأ أول السورة في النوافل، ولا تقرأ أول أم القرآن. وروى عنه ابن نافع ابتداء القراءة بها في الصلاة الفرض والنفل ولا تترك بحال. ومن أهل المدينة من يقول: إنه لابد فيها من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ منهم ابن عمر، وابن شهاب؛ وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد. وهذا يدل على أن المسألة مسألة اجتهادية لا قطعية، كما ظنه بعض الجُهَّال من المتفقهة الذي يلزم على قوله تكفير المسلمين؛ وليس كما ظن لوجود الاختلاف المذكور؛ والحمد لله.

وقد ذهب جمع من العلماء إلى الإسرار بها مع الفاتحة؛ منهم: أبو حنيفة والثَّوْري؛ وروي ذلك عن عمر وعليّ وابن مسعود وعَمّار وابن الزبير؛ وهو قول الحكم وحماد؛ وبه قال أحمد بن حنبل وأبو عبيد؛ ورُوِيَ عن الأوزاعيّ مثل ذلك؛ حكاه أبو عمر بن عبد البرّ في الاستذكار واحتجوا من الأثر في ذلك بما رواه منصور بن زاذان عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فلم يسمعنا قراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وما رواه عمار بن رُزَيق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن أنس قال: صليت خلف النبي ﷺ وخلف أبي بكر وعمر، فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم(١).

قلت: هذا قول حسن، وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تتضاد ويخرج به من الخلاف في قراءة البسملة. وقد روي عن سعيد بن جبير قال: هذا محمد يذكر رحمان اليمامة - يعنون مسيلمة - فأمر أن يخافت ببسم الله الرحمن الرحيم، ونزل ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠](٢). قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله: فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرسم وإن زالت العلة، كما بقي الرمل في الطواف وإن زالت العلة، وبقيت المخافتة في صلاة النهار وإن زالت العلة(٣).

السادسة: اتفقت الأمة على جواز كتبها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل؛ فإن كان الكتاب ديوان شعر فروى مجالد عن الشعبي قال: أجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(٤). وقال الزهري: مضت السنة ألا يكتبوا في الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشعر سعيد بن جبير، وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين. قال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبه.

السابعة: قال الماوردي(٥): ويقال لمن قال: بسنم الله: مُبَسْمِل، وهي لغة مُوَلَّدة، وقد جاءت في

---

(١) صحيح: يشهد له السابق.

(٢) هذا مرسل وسيأتي في موضعه.

(٣) قاله الحكيم الترمذي (٤/ ١٢٩) في نوادر الأصول. ط دار الجيل - بيروت.

(٤) ضعيف: مجالد بن سعيد الهمداني ليس بالقوي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤) برقم (١٢٩) بترقيمي وعزاه الخطيب.

(٥) هو علي بن حبيب، أبو الحسين البصري الشافعي. له تفسير معروف بـ (الذكي الصوت) (ت ٤٥٠هـ).

الشعر؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

لقد بَسْملتْ ليلَى غداةَ لقيتُها فيا حبّذا ذاك الحبيبُ المبسمِلُ

قلت: المشهور عن أهل اللغة بسمل. قال يعقوب بن السِّكيت والمُطَرِّز والثعالبي وغيرهم من أهل اللغة: بسمل الرجل، إذا قال: بسم الله. يقال: قد أكثرت من البسملة؛ أي من قول بسم الله. ومثله حَوْقَلَ الرجل، إذا قال: لا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله. وهَلَلَ، إذا قال: لا إله إلا الله. وسَبْحَلَ: إذا قال: سبحان الله. وحَمْدَلَ: إذا قال: الحمد لله. وحَيْصَلَ: إذا قال: حيّ على الصلاة. وجَعْفَلَ، إذا قال: جُعلت فداك. وطَبْقَلَ: إذا قال: أطال الله بقاءك. ودَمْعَزَ: إذا قال: أدام الله عزّك. وحَيْفَلَ: إذا قال: حيّ على الفلاح. ولم يذكر المُطَرِّز: الحَيْصَلَة، إذا قال: حيّ على الصلاة.

الثامنة: ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أوّل كل فعل؛ كالأكل والشرب والنحر؛ والجماع والطهارة وركوب البحر، إلى غير ذلك من الأفعال؛ قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. [الأنعام: ١١٨] ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]. وقال رسول الله ﷺ: «أغلق بابك، واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وخَمِّرْ[١] إناءك واذكر اسم الله وأَوْكِ[٢] سقاءك، واذكر اسم الله»[٣]. وقال: «لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللّهمّ جَنِّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدّر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»[٤]. وقال لعمر بن أبي سلمة: «يا غلام سَمِّ الله وكُلْ بيمينك وكلْ مما يَليكَ»[٥] وقال: «إنّ الشيطان ليستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه»[٦]، وقال: «من لم يذبح فليذبح باسم الله»[٧]. وشكا إليه عثمان ابن أبي العاص وجَعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[٨]. هذا كله ثابت في الصحيح. وروى ابن ماجه والترمذي عن النبيّ ﷺ قال: «سَتْرُ ما بين

---

(١) خمِّر: من التخمير وهي التغطية كما في النهاية (٢/ ٧٧) لابن الأثير.

(٢) أَوْكِ: شد رأس السقاء (القربة) بالوى: وهو الخيط الذي تُشد به الصُّرة والكيس. النهاية (٥/ ٢٢١) لابن الأثير.

(٣) صحيح: أبو داود (٢٧٣١) في الأشربة، وصححه الألباني هناك.
قلت: وأصله في الصحيحين عن جابر من طريق آخر، فقد رواه البخاري (٥٦٢٣، ٥٦٢٤) في الأشربة، ومسلم (٢٠١٢/ ٩٦) في الأشربة من طريق أبي الأثير عن جابر.
ومسلم (٢٠١٢/ ٩٧) في الأشربة من طريق أبي داود ولكن بزيادة: «إذا كان جنح الليل - أو أمسيتم - فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل وخلوهم وأغلقوا الأبواب...» الحديث.

(٤) صحيح: مسلم (١٤٣٤) في النكاح.

(٥) متفق عليه: البخاري (٥٣٧٦) في الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢/ ١٠٩) في الأشربة.

(٦) صحيح: مسلم (٢٠١٧/ ١٠٢) في الأشربة (٢٠١٧مكرر)، و(مكرر/ ١) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٧) متفق عليه: البخاري (٥٥٦٢) في الذبائح، ومسلم (١٩٦٠/ ١) في الأضاحي، عن جندب بن سفيان.

(٨) صحيح: مسلم (٢٢٠٢) في السلام.

الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكَنِيف أن يقول بسم الله» (١). وروى الدّارقُطْنيّ عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مس طهوره سَمَّى الله تعالى، ثم يُفرغ الماء على يديه (٢).

التاسعة: قال علماؤنا: وفيها ردّ على القَدَرِيَّة وغيرهم ممن يقول: إن أفعالهم مقدورة لهم. وموضع الاحتجاج عليهم من ذلك أن الله سبحانه أمرنا عند الابتداء بكل فعل أن نفتتح بذلك، كما ذكرنا.

فمعنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، أي: بالله. ومعنى بـ﴿اللَّهِ﴾، أي: بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصَل إليه. وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى. وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى عباده، ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله جلّ وعزّ.

العاشرة: ذهب أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى إلى أن «اسم» صلة زائدة، واستشهد بقول لَبِيد:

إلى الحَوْل ثم اسمِ السلام عليكما ... ومَن يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذر

فذكر «اسم» زيادة، وإنما أراد: ثم السلام عليكما.

وقد استدل علماؤنا بقول لَبِيد هذا على أن الاسم هو المسمَّى. وسيأتي الكلام فيه في هذا الباب وغيره، إن شاء الله تعالى.

الحادية عشرة: اختلف في معنى زيادة «اسم» فقال قُطْرُب: زيدت لإجلال ذكره تعالى وتعظيمه. وقال الأخفش: زيدت ليَخرج بذكرها من حكم القَسَم إلى قصد التبركِ؛ لأن أصل الكلام: بالله.

الثانية عشرة: اختلفوا أيضاً في معنى دخول الباء عليه، هل دخلت على معنى الأمر؟ والتقدير: ابدأ بسم الله. أو على معنى الخبر؟ والتقدير: ابتدأت بسم الله؛ قولان: الأوّل للفرّاء، والثاني للزجاج. فـ «باسم» في موضع نصب على التأويلين. وقيل: المعنى ابتدائي بسم الله؛ فـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع رفع خبر الابتداء. وقيل: الخبر محذوف؛ أي ابتدائي مستقرّ أو ثابت بسم الله؛ فإذا أظهرته كان ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع نصب بثابت أو مستقرّ، وكان بمنزلة قولك: زيد في الدار. وفي التنزيل ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠] . فـ ﴿عِندَهُ﴾ في موضع نصب؛ رُوي هذا عن نحاة أهل البصرة. وقيل: التقدير ابتدائي ببسم الله موجود أو ثابت، فـ ﴿بِسْم﴾ في موضع نصب بالمصدر الذي هو ابتدائي.

الثالثة عشرة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، تكتب بغير ألف استغناء عنها بباء الإلصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال؛ بخلاف قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال. واختلفوا في حذفها مع الرحمن والقاهر؛ فقال الكسائي وسعيد الأخفش: تُحذف الألف. وقال يحيى بن وَثّاب: لا تُحذف إلا مع ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فقط؛ لأن الاستعمال إنما كثُر فيه.

الرابعة عشرة: واختلِف في تخصيص باء الجر بالكسر على ثلاثة معان؛ فقيل: ليناسب لفظها

---

(١) صححه الألباني: كما في ترقيمه لسنن الترمذي (٦٠٦) في الطهارة، وفي سنن ابن ماجه (٢٩٧) في الطهارة عن أنس رضي الله عنه.

(٢) منكر: فيه حارثة بن أبي الرجال (وأصله مدني) عن عمرة عن عائشة، وحديثه عن عمرة منكر، كما في التاريخ الكبير (٣/ ٩٤) وانظر: سنن الدَّارَقُطْنِيّ (١/ ٧٢).

عمـلـها. وقـيـل: لمّا كانت البـاء لا تدخل إلا على الأسمـاء خُصّت بالخـفض الذي لا يكون إلا في الأسماء. الثالث: ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسماً؛ نحو الكاف في قول الشاعر:

ورُحنَا بِكَابْنِ الماءِ يُجنَبُ وسطَنا

أي: بمثل ابن الماء أو ما كان مثلـه.

الخـامسـة عشرة: اسمٌ، وزنه اِفعٌ، والذاهب منه الواو؛ لأنه من سَـمَوْت، وجـمعـه أسـمـاء، وتصغيره سُمَيّ. واختلف في تقدير أصلـه، فقـيـل: فعْل، وقيل: فُعْل. قال الجوهري: وأسماء يكون جمعا لـهذا الوزن، وهو مثل جِذع وأجذاع، وقُفل وأقـفال؛ وهذا لا تدرك صيغته إلا بالسماع. وفيه أربع لغات: اِسم بـالكسر، وأُسم بالضم. قال أحـمد بن يحـيى: مَن ضمّ الألف أخذه من سَـمَوْت أسمو، ومن كسر أخذه من سميت أسمى. ويقال: سِمٌ وسُمٌ، ويُنْشَد:

والله أسماك سُمًا مباركاً آثرك الله به يثاركا

وقال آخر:

وعامُنا أعجبَنا مقدّمه يُدْعَى أبا السَّمْح وقِرْضَابٌ سِمُهْ

مُبْتِركا لكل عظم يَلْحُمُهْ

قرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابـساً، فهو قرضاب. «سِمُه»؛ بالضم والكسر جـميعاً. ومنه قول الآخر:

باسم الذي في كل سورةٍ سُمه

وسكنت السين من «بسم» اعتلالا على غير قيـاس، وألفه ألف وصل، وربما جعلها الشاعر ألف قطع للضرورة؛ كقول الأحْوَص:

وما أنا بالمخسُوس في جِذْم مالكٍ ولا مَن تَسمّى ثم يلتزم الإسما

السادسـة عشرة: تقول العرب في الـنسب إلى الاسم: سُمويّ، وإن شئت اسْمـيّ، تركته على حاله، وجمعه أسماء، وجمع الأسماء أسامٍ. وحكى الفرّاء: أعيذك بأسماوات الله.

السابعة عشرة: اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين؛ فـقال البصريون: هو مشتق من السُّمُوّ وهو العلوّ والرفعة، فقيل: اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به. وقيل: لأن الاسم يسمو بالمسمّى فيرفعه عن غيره. وقيل: إنما سُمِّيَ الاسم اسما لأنه عـلا بقوّته على قسمي الكلام: الحرف والفعل؛ والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل؛ فلعلُوّه عليهما سمي اسماً؛ فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السِّمَة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له؛ فأصل اسم على هذا «وسم». والأول أصح؛ لأنه يقال في التصـغير سمي وفي الجمع أسماء؛ والجمع والتـصغير يردّان الأشياء إلى أصولها؛ فلا يقال: وسيم ولا أوسام. ويدل على صحته أيضاً فائدة الخلاف وهي:

الثامنة عشرة: فإن من قال الاسم مشتق من العُلُو يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم، ولا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته؛ وهذا قول أهل السُّنة. ومن قال: الاسم مشتق مـن السمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفـة، فلما خلق الخلق جعلوا

له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة؛ وهذا قول المعتزلة وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم في الخطأ من قولهم: إنّ كلامه مخلوق، تعالى الله عن ذلك وعلى هذا الخلاف وقع الكلام في الاسم والمُسَمَّى وهي:

التاسعة عشرة: فذهب أهل الحق فيما نقل القاضي أبو بكر بن الطيّب إلى أن الاسم هو المسمى، وارتضاه ابن فُورَك[1]؛ وهو قول أبي عبيدة وسيبويه. فإذا قال قائل: الله عالم؛ فقوله دالّ على الذات الموصوفة بكونه عالماً، فالاسم كونه عالماً وهو المسمى بعينه. وكذلك إذا قال: الله خالق؛ فالخالق هو الرب، وهو بعينه الاسم. فالاسم عندهم هو المسمّى بعينه من غير تفصيل.

قال ابن الحصار[2]: مَن ينفي الصفات من المبتدعة يزعم أن لا مدلول للتسميات إلا الذات، ولذلك يقولون: الاسم غير المسمّى، ومَن يثبت الصفات يثبت للتسميات مدلولات هي أوصاف الذات وهي غير العبارات وهي الاسماء عندهم. وسيأتي لهذه مزيد بيان في «البقرة؛ و «الأعراف؛ إن شاء الله تعالى.

الموفية عشرين: قوله: ﴿اللَّهِ﴾ هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسمّ به غيره؛ ولذلك لم يُثَنّ ولم يجمع؛ وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] أي: من تسمّى باسمه الذي هو ﴿اللَّهِ﴾. فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهيّة، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه. وقيل: معناه الذي يستحق أن يُعبد. وقيل: معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال؛ والمعنى واحد.

الحادية والعشرون: واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق أو موضوع للذات عَلَم؟. فذهب إلى الأوّل كثير من أهل العلم. واختلفوا في اشتقاقه وأصله؛ فروى سيبويه عن الخليل أن أصله إلاه، مثل فعَال؛ فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. قال سيبويه: مثل الناس أصله أناس. وقيل: أصل الكلمة «لاه» وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه. وأنشد:

لاه ابنُ عَمّكَ لا أفضلتَ في حسَبٍ عني ولا أنت ديّاني فتخزوني

كذا الرواية: فتخزوني، بالخاء المعجمة ومعناه: تسوسني.

وقال الكسائي والفرّاء: معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ بسم الإله؛ فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لاماً مشدّدة؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] ومعناه: لكن أنا، كذلك قرأها الحسن. ثم قيل: هو مشتق من «ولَه؛ إذا تحيّر؛ والوله: ذهاب العقل. يقال: رَجلٌ وَالِهٌ وامرأةٌ والهةٌ ووَالِهٌ، وماء موله: أرسل في الصحارى. فالله سبحانه تتحير الألباب وتذهب في حقائق صفاته والفِكَر في معرفته[3]. فعلى هذا أصل «إلاه» «ولاه» وأن الهمزة مبدلة من واو كما أبدلت في

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فورك، وكنيته أبو بكر، كان شافعيًا فقيهًا، أصوليًا، متكلمًا، وله مؤلفات وتصانيف كثيرة (ت٤٠٦هـ).

(٢) هو قاضي الجماعة أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد (ت٤٢٣هـ).

(٣) قال ابن كثير (١/ ٥٢، ٥٣) في تفسيره: «لا يعرف لهذا الاسم من كلام العرب اشتقاق من نقله القرطبي عن جماعة من العلماء... وقال الخطابي: ألا ترى أنك تقول: (يا الله) ولا تقول (يا الرحمن) ولولا أنه =

إشاخ ووشاح، وإسادة ووسادة؛ ورُوي عن الخليل. ورُوي عن الضحاك أنه قال: إنما سُمِّيَ ﴿الله﴾ إلهاً، لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم، ويتضرّعون إليه عند شدائدهم. وذُكر عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألَهُون إليه (بنصب اللام) ويالِهُون أيضاً (بكسرها) وهما لغتان. وقيل: إنه مشتق من الارتفاع؛ فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: لاهاً، فكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت. وقيل: هو مشتق من أله الرجل إذا تعبّد. وتألّه إذا تنسّك؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ويَذَرَكَ وآلِهَتَكَ﴾ . على هذه القراءة؛ فإن ابن عباس وغيره قالوا: وعبادتك[1].

قالوا: فاسم الله مشتق من هذا، فالله سبحانه معناه المقصود بالعبادة، ومنه قول الموحدين: لا إله إلا الله، معناه لا معبود غير الله. و«إلا» في الكلمة بمعنى غير، لا بمعنى الاستثناء. وزعم بعضهم أن الأصل فيه «الهاء» التي هي الكناية عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجوداً في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية عن الغائب، ثم زيدت فيه لام المِلك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالِكُها فصار «لَهُ» ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيماً وتفخيماً.

القول الثاني: ذهب إليه جماعة من العلماء أيضاً منهم الشافعيّ وأبو المعالي والخطابي والغزالي والمفضَّل وغيرهم، ورُوِيَ عن الخليل وسيبويه: أن الألف واللام لازمة له لا يجوز حذفهما منه. قال الخطابي: والدليل على أن الألف واللام من بِنْية هذا الاسم، ولم يدخلا للتعريف: دخول حرف النداء عليه؛ كقولك: يا الله، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف؛ ألا ترى أنك لا تقول: يا الرحمن ولا يا الرحيم، كما تقول: يا الله، فدل على أنهما من بِنْية الاسم. والله أعلم.

الثانية والعشرون: واختلفوا أيضاً في اشتقاق اسمه الرحمن؛ فقال بعضهم: لا اشتقاق له لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه، ولأنه لو كان مشتقًّا من الرحمة لاتّصل بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رَحْمن بعباده، كما يقال: رحيم بعباده. وأيضاً لو كان مشتقاً من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربّهم، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] الآية. ولما كتب علي رضي الله عنه في صلح الحُدَيبِيَة بأمر النبي ﷺ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال سُهيل بن عمرو: أما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فما ندري ما ﴿بِسْمِ اللَّهِ

= من أصل الكلمة ـ أي الألف واللام ـ لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام» .

وفي الصواعق المرسلة (ص ٧٤٩) لابن قيم الجوزية قال ـ رحمه الله : « وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع منهم في معناه ، إنما هو نزاع في وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى مع اتفاقهم على أن المعنى واحد، وهذا القدر لا يخرج اللفظ عن إفادته للسامع اليقين بمسماه » انتهى .

قلت : وقال ابن عثيمين ـ رحمه الله : (الله) هو المألوه ، أي: المعبود حبًا وتعظيمًا وتألهًا وشوقًا . شرح لمعة الاعتقاد (ص ١٥) بتحقيقي .

(١) **ضعيف** : سعيد بن منصور (٥/ ١٥١) في سننه .

ورواه الطبري بسند منقطع عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس ولم يلقه . تفسير الطبري (٩/ ١٢٥).

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾! ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللَّهُمّ ، الحديث(١). قال ابن العربي: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف، واستدل على ذلك بقولهم: وما الرحمن؟ ولم يقولوا: ومن الرحمن؟ قال ابن الحصّار: وكأنه رحمه الله لم يقرأ الآية الأخرى ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]. وذهب الجمهور من الناس إلى أن ﴿الرَّحْمَنِ﴾ مشتق من الرحمة مبني على المبالغة؛ ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، فلذلك لا يُثَنَّى ولا يجمع كما يُثَنَّى ﴿الرَّحِيمِ﴾ ويجمع.

قال ابن الحصار: ومما يدل على الاشتقاق ما خرّجه الترمذي وصَحّحه عن عبد الرحمن بن عَوف أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرّحِم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وَصَلَها وَصَلته ومَن قَطَعها قطعته»(٢). وهذا نص في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له.

الثالثة والعشرون: زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنباري في كتاب «الزاهر» له: أن ﴿الرَّحْمَنِ﴾ اسم عبرانيّ فجاء معه ب ﴿ الرَّحِيمِ﴾. وأنشد:

لن تُدرِكوا المجدَ أو تَشْروا عَباءَكُم ... بالخَزِّ أو تجعلوا اليَنْبُوتَ ضَمْرانا

أو تتركون إلى القَسِّين هجرتَكم ... ومَسْحكم صُلْبَهم رَحمانَ قُربانا

قال أبو إسحق الزجاج في «معاني القرآن»: وقال أحمد بن يحيى: ﴿الرَّحِيمِ﴾ عربيّ و﴿الرَّحْمَنِ﴾ عبرانيّ، فلهذا جمع بينهما. وهذا القول مرغوب عنه.

وقال أبو العباس: النعت قد يقع للمدح؛ كما تقول: قال جرير الشاعر. وروى مُطَرِّف عن قتادة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: مدح نفسه. قال أبو إسحاق: وهذا قولٌ حَسَن. وقال قُطْرُب(٣): يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد. قال أبو إسحق: وهذا قولٌ حَسَن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب، ويستغني عن الاستشهاد؛ والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد: إنه تفضّلٌ بعد تفضّل، وإنعامٌ بعد إنعام، وتقويةٌ لمطامع الراغبين، ووعدٌ لا يخيب آمله.

الرابعة والعشرون: واختلفوا هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقيل: هما بمعنىً واحد؛ كندمان ونديم. قاله أبو عبيدة. وقيل: ليس بناء فَعلان كفَعيل، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل؛ نحو قولك: رجل غضبان، للممتلئ غضباً. وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول. قال عَمَلَّس(٤):

فأما إذا عَضَّت بك الحربُ عضّةً ... فإنك معطوفٌ عليكَ رَحيمُ

فـ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ خاصُّ الاسم ، عام الفعل. و ﴿الرَّحِيمِ﴾ عام الاسم ، خاصُّ الفعل. هذا قول

(١) صحيح : قطعة من حديث صلح الحُدَيْبِيَة الطويل المروي في البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) في الشروط، عن مروان ابن الحكم ، والمسور بن مخرمة يصدق حديثهما الآخر.

(٢) صحيح : الترمذي (١٩٠٧) في البر والصلة ،عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وقال : « وفي الباب عن أبي هريرة ، وابن أبي أوفى ، وعامر بن ربيعة ، وجُبَيْر بن مُطعم ، وأبي سعيد »، وصححه الألباني (٥٢٠) في الصحيحة .

(٣) هو اللغوي أبو علي محمد بن المستنير البصري كان معتزلاً (ت٢٠٦هـ) .

(٤) هو عَمَلَّس بن عقيل ـ كذا جاء في اللسان .

الجمهور.

قال أبو عليّ الفارسيّ: «الرحمن» اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله. ﴿والرَّحِيمِ﴾ إنما هو في جهة المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقال العرزميّ: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بجميع خلقه في الأمطار ونعَم الحواس والنِّعم العامة، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم. وقال ابن المبارك: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ إذا سُئل أعطى، و﴿الرَّحِيمِ﴾ إذا لم يُسأل غَضِب. وروى ابن ماجه في سُنَنه والترمذيّ في جامعه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَن لم يسأل الله يغضب عليه»[1] لفظ الترمذيّ. وقال ابن ماجه: «مَن لم يَدْعُ الله سبحانه غضب عليه»[2]. وقال: سألت أبا زرعة عن أبي صالح هذا، فقال: هو الذي يقال له: الفارسيّ وهو خُوزِيّ ولا أعرف اسمه. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

الله يَغْضب إن تركتَ سؤاله ... وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضب

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرقّ من الآخر، أي أكثر رحمة.

قال الخطابيّ: وهذا مشكل؛ لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى. وقال الحسين بن الفضل البَجَلي: هذا وَهَم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى في شيء، وإنما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر، والرفق من صفات الله عز وجل؛ قال النبيّ ﷺ: «إن الله رفيق يُحب الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنف»[3].

الخامسة والعشرون: أكثر العلماء على أن ﴿الرَّحْمَنِ﴾ مختص بالله عزّ وجلّ، لا يجوز أن يُسَمَّى به غيره، ألا تراه قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فعادل الاسم الذي لا يَشركه فيه غيره. وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] فأخبر أن ﴿الرَّحْمَنِ﴾ هو المستحق للعبادة جلّ وعزّ. وقد تجاسر مُسَيْلِمة الكذاب لعنه الله فتسمى برحمان اليمامة، ولم يتسمّ به حتى قَرع مسامعَه نَعْتُ الكذاب فألزمه الله تعالى نَعْت الكذاب لذلك، وإن كان كلّ كافرٍ كاذباً، فقد صار هذا الوصف لمُسَيْلِمة عَلَماً يُعرف به، ألزمه الله إياه. وقد قيل في اسمه الرحمن: إنه اسم الله الأعظم، ذكره ابن العربيّ.

السادسة والعشرون: ﴿الرَّحِيمِ﴾ صفة مطلقة للمخلوقين، ولما في ﴿الرَّحْمَنِ﴾ من العموم قدم في كلامنا على ﴿الرَّحِيمِ﴾ مع موافقة التنزيل؛ قاله المهدوي. وقيل: إن معنى ﴿الرَّحِيمِ﴾ أي: بالرحيم وصلتم إلى الله وإلى الرحمن، فـ ﴿الرَّحِيمِ﴾ نعت محمد ﷺ، وقد نعته تعالى بذلك فقال: ﴿رءوف رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فكأن المعنى أن يقول: بسم الله الرحمن وبالرحيم؛ أي: وبمحمد ﷺ وصلتم إليّ، أي: باتباعه وبما جاء به وصلتم إلى ثوابي وكرامتي والنظر إلى وجهي؛ والله أعلم.

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٣٧٣) في الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٧) في الدعاء، وصححه الألباني في الموضعين ط ريان.

(٢) انظر السابق.

(٣) صحيح: لفظ ابن ماجه (٣٦٨٨) في الأدب، عن أبي هريرة، ورواه أحمد (٤/ ٨٧). ورواه الضياء عن علي كما في المختارة (٢/ ٤١٣) وحسن إسناده.

السابعة والعشرون: رُوي عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: إنه شفاء من كل داء، وعَوْنٌ على كل دواء. وأما ﴿الرَّحْمَنِ﴾، فهو عَوْنٌ لكلِّ مَن آمن به، وهو اسم لم يُسَمّ به غيره. وأما ﴿الرَّحِيمِ﴾، فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

وقد فسّره بعضهم على الحروف؛ فرُوي عن عثمان بن عفّان أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «أما الباء فبلاء الله وروحه ونضرته وبهاؤه وأما السين فسناء الله وأما الميم فملك الله وأما الله فلا إله غيره وأما الرحمن فالعاطف على البَرّ والفاجر من خلقه وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصّة»(١). ورُوي عن كعب الأحبار أنه قال: الباء بهاؤه والسين سناؤه فلا شيء أعلى منه والميم ملكه وهو على كل شيء قدير فلا شيء يعازّه(٢). وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه؛ فالباء مفتاح اسمه بصير، والسين مفتاح اسمه سميع، والميم مفتاح اسمه مليك، والألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والهاء مفتاح اسمه هادي، والراء مفتاح اسمه رازق، والحاء مفتاح اسمه حليم، والنون مفتاح اسمه نور؛ ومعنى هذا كله دعاء الله تعالى عند افتتاح كل شيء.

الثامنة والعشرون: واختلف في وصل ﴿الرَّحِيمِ﴾ بـ ﴿الحمد لله﴾؛ فرُوِيَ عن أمّ سَلَمة عن النبيّ ﷺ: « الرحيم الحمد » يُسكّن الميم ويقف عليها، ويبتدىء بألف مقطوعة. وقرأ به قوم من الكوفيين. وقرأ جمهور الناس: «الرحيم الحمد»، تُعرب ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالخفض وبوصل الألف من ﴿الْحَمْدُ﴾. وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ «الرحيمَ الحمد»، بفتح الميم وصلة الألف؛ كأنه سكنت الميم وقطعت الألف ثم ألقيت حركتها على الميم وحذفت. قال ابن عطية: ولم تُرْوَ هذه قراءة عن أحد فيما علمت. وهذا نظر يحيى بن زياد في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١].

* * *

(١) موضوع: رواه المصنف بصيغة التمريض (رُوِيَ) ورأيته بنحوه باطلاً عن أبي سعيد الخدري، كما ذكره ابن حبان في المجروحين، وقال ابن كثير: «غريب جدًا، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات»، والله أعلم.

(٢) انظر السابق.